التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٩٢ • السنة الثانية والأربعون • ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ

الثمن جنيهان

مصر أم الدنيا .. بين الفتن والإفساد



بين الشورى والديمقراطية .. هل تستوي الظلمات والنور؟!



نصيحة حول الأحداث الجارية على الساحة المصرية

الفساد .. آثاره وكيفية مكافحته

مصر في سُنة الرسول ﷺ ووصيته

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

لمَنْ يَفْهَمُ !!

جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيتَ ابنته فاطمة فلم يجدْ عليًا رضي الله عنه في البيت، فقال لها: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يَقِلْ (وقت القيلولة) عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان: انْظُر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله؛ هو مضطجع في المسجد راقدٌ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليٌّ مضطجعٌ قد سقط رِدَاؤُه عن شِقِّه، وأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحُهُ عنه ويقول مُلاطِفًا لِعَليّ: قُمْ أبا تُراب، قُمْ أبا تراب.

ما أحلمك يا رسول الله ! لم تستمع من ابنتك شيئًا حتى سألتَ عن زوجها وبحثت عنه، وذهبتَ إليه، وقعدتَ عنده تُلاطفه وتُرضيه وتمسحُ عنه التراب، لكن الكثير ممن ينتسب إلى دينك، يستمع أولاً لابنته «الصادقة المصدوقة!» وبدلاً من أن يمسح التراب عن زوجها يضع على رأسه طينًا!!

التحرير

السنة الثانية والأربعون
العدد ٤٩٦ - ربيع الآخر ١٤٣٤

"في هذا العدد"



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة «حساب رقم ١٩١٥٩٠/»

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد



بين الشورى والديمقراطية.. هل تستوي الظلمات والنور؟!

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعدُ:

فالشورى مبدأ أصيل في النظام الإسلامي، ويجب أن تكون واقعًا عمليًا في حياة المسلمين، وأن تشمل أمورهم التي يحتاجون إليها مما لا نص فيه، كاختيار الحاكم، واتخاذ القرارات المتعلقة بالشأن العام من خلال الاجتهاد الجماعي، واستنباط الأحكام الشرعية في ضوء مقاصد التشريع، وأصحاب الشورى هم من أهل الحل والعقد في الأمة.

تعريف أهل الشورى:

وقد عرفهم الإمام النووي، كما في نهاية المنهاج بأنهم «العلماء والرؤساء ووجهاء الناس الذين يتيسر اجتماعهم» (ج٧/ص٤١٠).

وعرفتهم الموسوعة الكويتية بأنهم: «أهل الشوكة من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يحصل بهم مقصود الولاية، وهو القدرة والتمكين، وهو مأخوذ من حل الأمور وعقدها». (ج٧/١١٥).

حكم الشورى

حكم الشورى رجّح كثير من العلماء وجوب الشورى كأساس للحكم. قال ابن عطية: «والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا مما لا خلاف فيه، وقد مدح الله المؤمنين بقوله: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) [الشورى: ٣٨].

وقال ابن خُويز مَنداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكُتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها، وكان يقال: ما ندم من استشار، وكان يقال: من أُعجب برأيه ضلَّ. [تفسير القرطبي].

فضائل الشورى في القرآن الكريم:

وقد سمَّى الله في كتابه سورة باسم الشورى، وأنزل فيها قوله سبحانه: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [الشورى: ٣٨]، وهذا فيه ثناء على أصحاب الشورى العاملين بها، وقد ذكر عنهم أنهم كانوا إذا وقعت بينهم واقعة اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم لذلك، ويلاحظ أن الآية جاءت بعد الأمر بالاستقامة على الدين، وتقرير سيادة الشرع في ظل الائتلاف والجماعة، وقُرنت الشورى في الآية بالاستجابة لله تبارك وتعالى وإقامة الصلاة، مما يبرز مكانة الشورى وأهميتها، قال ابن كثير في الآية: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) [الشورى: ٣٨] أي: اتبعوا رسله وأطاعوا

أمره، واجتنبوا زجره، «وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ »، وهي من أعظم العبادات لله عز وجل، «وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ » أي: لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها. [تفسير ابن كثير ج٤/١٥١].

وقال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: ١٥٩]، والآية فيها أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه، والمعنى: دُمْ على المشاورة وواظب عليها، وقد تقرر عند علماء الأصول أن الأمر للوجوب ما لم يصرفه صارف، وقال بعض المفسرين: «ثمرة الآية وجوب التمسك بمكارم الأخلاق وخصوصًا لمن يدعو إلى الله تعالى ويأمر بالمعروف، «فَإِذَا عَزَمْتَ»، أي: بعد المشاورة على أمر واطمأنت به نفسك، «فتوكل على الله» في الإعانة على إمضاء ما عزمت، لا على المشورة وأصحابها، قال الرازي: دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يمهل الإنسان نفسه، كما يقول بعض الجهال، وإلا كان الأمر بالمشاورة منافيًا للأمر بالتوكل، بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعوّل قلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ». انظر تفسير القاسمي ج٤/١٠٢٣].

الشورى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم:

ولقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم الأمر الرباني الموجه إليه أن يقوم به خير قيام، فحافظ على الشورى، وقد روت لنا كتب السنة والسيرة مواقف عديدة له صلى الله عليه وسلم في العمل بالشورى والأخذ بها، ومن ذلك ما ورد في مشروعية الأذان، قال ابن عمر: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس يُنادى لها، فتكلموا يومًا في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقًا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أو لا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال، قم فناد بالصلاة. [البخاري: ٦٠٤].

وقد ذكر ابن حجر في الفتح: أن مبدأ الأذان كان عن مشورة أوقعها النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه. [انظر فتح الباري ج٢/٧٩].

كما استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أسارى بدر، وقد ذكر القاسمي في تفسيره لقول الله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ) [الأنفال: ٦٧] حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وعزاه لمسلم في أفراده:- وفيه: «لما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ».

> روت لنا كتب السنة والسيرة مواقف عديدة له صلى الله عليه وسلم في العمل بالشورى والأخذ بها، ومن ذلك ما ورد في مشروعية الأذان.

والشاهد من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في هذه المسألة المهمة التي لم يكن عنده فيها وحي.

وقد ذكر ابن القيم هذا الحديث في الزاد وعقّب عليه بقوله: «وقد تكلم الناس في أيّ الرأيين كان أصوب، فرجحت طائفة قول عمر، ورجحت طائفة قول أبي بكر؛ لاستقرار الأمر عليه، وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم، ولموافقته الرحمة التي غلبت الغضب، ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء». [زاد المعاد ٣/١١١].

كما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عليًا وأسامة رضي الله عنهما في حادثة الإفك، قالت عائشة رضي الله عنها: «لما قال أهل الإفك ما قالوا، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يسألهما وهو يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار بالذي يعلم من براءة أهله، وأما عليّ فقال: لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فقال: هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت: ما رأيت أمرًا أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام على المنبر، فقال: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، فذكر براءة عائشة». [البخاري: ٧٣٦٩].

وقد عقد البخاري في صحيحه بابًا عنون له بقوله: «باب قول الله تعالى: وأمرهم شورى بينهم، وشاورهم في الأمر، ثم قال: وأن المشاورة قبل العزم والتبين؛ لقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وشاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم، فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال: «لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه».

منزلة الشورى عند الخلفاء الراشدين:

وكانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره؛ اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة، فقال عمر: كيف تقاتل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله». فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تابعه بعدُ عمر، فلم يلتفت أبو بكر إلى مشورة؛ إذ كان عنده حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذين فرّقوا بين الصلاة والزكاة، وأرادوا تبديل الدين وأحكامه، وقال صلى الله عليه وسلم: «من بدّل دينه فاقتلوه»، وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً أو شبابًا، وكان وقّافًا عند كتاب الله تعالى. [انظر فتح الباري ١٣/٣٣٩].

ثمرات الشورى وفوائدها:

وبهذا يتضح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشاور أصحابه واستمر خلفاؤه الراشدون وصحابته الأخيار من بعده على العمل بها، وما ذاك إلا لفائدتها وأهميتها، فالشورى - بفضل الله - تجمع القلوب على الحق والصواب، وتكشف عن المواهب والقدرات، وتنسّق بين الجهود وتوحدها، وينبني على ذلك عزة الأمة ورفعتها وسيادتها.

> **كانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره.**

هل الديمقراطية هي الشورى؟!

وقد زعم قوم أن الديمقراطية هي الشورى، وهذا قول باطل، فشتان بينهما، فالشورى تنضبط بالضوابط الشرعية لتصل إلى ما لا يخالف الشرع، أما الديمقراطية فالسيادة والسلطان فيها للشعب، وقد أعطت حق الله للمخلوق العاجز الضعيف! فهي إذن شيء والشورى شيء آخر.

الفرق بين الشورى والديمقراطية:

وبين الشورى في النظام الإسلامي والديمقراطية فروق كثيرة لا بد من الإشارة إلى بعضها هنا، ومنها: أن الديمقراطية تحصر اهتمامها في الحياة الدنيا فحسب، ولا علاقة لها بالآخرة، بخلاف الشورى التي تجعل المصالح الأخروية هي الأصل، ومصالح الدنيا تابعة لها، ومنها: أن الشورى في الإسلام لا تتأثر بالانتماءات الحزبية مثلما يحدث في الديمقراطية،

حيث يكون النائب ناطقًا باسم حزبه، ومتأثرًا بتوجيهه، وقد يكون على غير الإسلام، وهي بهذا لا تعتبر الدين ولا العدالة الشرعية في أصحاب القرار شرطا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما ورد في الترمذي عن أم سلمة وأبي هريرة رضي الله عنهما: «المستشار مؤتمن». [انظر: سنن الترمذي ج٢/٣٦٩].

ومؤتمن اسم مفعول من الأمن أو الأمانة، ومعناه: أن المستشار أمين فيما يسأل عنه من الأمور، ومن كان أمينًا فلا يخون، أو يكتم المصلحة، والنظام الديمقراطي لا يعنيه الدين وما يتفرع عنه من الخلق والأمانة وغير ذلك.

من مفاسد الديمقراطية:

ومن مفاسد الديمقراطية المعلومة للقاصي والداني ما يعرف «بالحرية المطلقة»، وهي من أسس النظام الديمقراطي وثوابته، والحرية عندهم بلا قيد أو ضوابط في كل شأن، ففي الجانب العقدي أعطت الحرية الكاملة للإنسان بأن يدين بأي دين، ولا مانع من تأييد الكفر والزندقة، والردة عن الإسلام عندهم لا حرج فيها باسم الحرية، وهذا يتعارض مع ثوابت الإسلام وقواطعه.

وفي الجانب الأخلاقي أعطت الحرية كاملة لكل إنسان ليفعل ما يشاء دون خجل أو حياء باسم الحرية الشخصية، فأكل أموال الناس بالباطل والتعامل بالربا، وإدمان الخمر، ونشر الفساد في الأرض حرية شخصية عندهم كما يزعمون، وناهيك عن وضع المرأة عندهم التي أصبحت سلعة يتاجر بجسدها وعريها، وغير ذلك مما هو معلوم.

وفي الجانب الاقتصادي أعطت حرية كاملة لكسب المال وإنفاقه دون قيود على طرق الاكتساب، أو الإنفاق، يقول بعض الباحثين في الحرية المطلقة عند الديمقراطيين: «إن الديمقراطية بمعناها الشامل المتضمن انعتاق الحرية عن كل ضابط شرعي أتاحت للطغام من العوام من العلمانيين وأمثالهم أن يتخذوا منها مظلة لانحراف أخلاقهم، وإظهار خلاعتهم، وكشف عوراتهم نساءً ورجالاً باسم الحرية الشخصية، بل أتاحت لهم أن يوظفوا أقلامهم وينفثوا حقدهم الأسود على كل ما يمت للإسلام والمسلمين بصلة، وقد وجد هؤلاء العوام في الديمقراطية ملاذًا في ظله يمارسون المنكر باسم الحب، ويعاقرون الخمر باسم المشروبات الروحية، ويبتلعون أموال الناس ربويًا باسم الفائدة، فلهذا السبب يعبد هؤلاء الطغام الديمقراطية ويكرهون الإسلام.

إن الديمقراطية تتيح لهم فرصة نشر فسادهم في عامة الناس، حتى يصبح ذلك بينهم عادة، ومن يخرج عليه يستحق الإبادة، كما أنه في النظام الديمقراطي تجد الحقوق والحريات حسنها وسيئها، نافعها وضارها مختلطة، بل ممتزجة غير قابلة للفصل، فالأساس الذي يُبْنَى عليه إجازة الحسن الطيب من الحقوق والحريات هو نفس الأساس الذي ينبي عليه إجازة السيئ القبيح من الحريات!!

وهناك مسائل أخرى كثيرة تبين مفارقة الديمقراطية للشورى والشريعة.

> **من مفاسد الديمقراطية المعلومة للقاصي والداني ما يعرف «بالحرية المطلقة»، وهي من أسس النظام الديمقراطي وثوابته، والحرية عندهم بلا قيد أو ضوابط في كل شأن.**

وعليه فإننا في أنصار السنة المحمدية، ومن باب الدعوة إلى الحق وبيانه، والتحذير من المنكر وفساده، ندعو أعضاء مجلس الشورى المصري إلى أن يتقوا الله في الأمة، وأن يجعلوا السيادة للشرع، وأن يعظموا حرمات الله، فلا يسنّوا تشريعًا يخالف عقائد الإسلام وأحكامه أو آدابه وأخلاقه، والمسئولية عليهم كبيرة، وعلى عموم الشعب العودة إلى الله، والقيام بما أوجب رب العالمين، جل في علاه، واتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وسلوك طريق أهل الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

والله أسأل عزة هذه الأمة وسلامتها ونجاتها في الدنيا والآخرة.

كلمة التحرير

مصر أُم الدنيا.. بين الفتن والإفساد

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

يُعرف الناس في أوقات المصائب والأزمات، وتُصنع الأمم بالمحن والابتلاءات، والحياة تطلب بالموت، وما ترك قومٌ الجهاد إلا ذلوا، ولا ركنوا إلى طلب السلامة إلا هانوا، والعظيم يُخاطر بعظمته، ومن عركته المعارك استقام أمره وصلب عوده، والأزمات والأحداث توحِّد الأمم وتجمع الشعوب والأقوام.

وفي المازق الراهن الذي تمر به مصر وشعبها، وقد اختلط الحابل بالنابل، وتداخلت الخيوط، فلم يعد أحد يعرف من الجاني ومن المجني عليه!! وسط أحداث دامية، ومشاهد مخجلة تجعل الإنسان لا يكاد يصدق أن هذه هي مصر، وهؤلاء هم المصريون، ما بين تخريب وتحريض، وقطع خطوط المترو، وتخريب السكك الحديدية، ومهاجمة مباني المحافظات ومجالس المدن، ومديريات الأمن فيها، ونهب وسلب ما يستطيعون الوصول إليه، وكأنهم يقتحمون أهدافًا للعدو الصهيوني!! وقتل وتشريد، وخطف وتهديد، ضمائر قد انزوت بعيدًا عن من يدعون إنقاذ البلاد، بل هم أصل الخراب والفساد، فجبهة الإنقاذ اسمٌ على غير مسمى، هدفهم أن يؤول الوضع في البلاد إلى الفوضى، لم يُحرِّك فيهم ساكنًا منظرُ الدمار والتخريب، ولا صرخات النساء والأطفال والمسنين، ومحاولات اقتحام لمراكز الشرطة والسجون، وتهريب المساجين، وتقع الضحايا، والتهمة جاهزة لرجال الأمن المكبوتين، ومن السلاح مجردين، تتلقى صدورهم الضربات، من البلطجية وأعداء الوطن، والبلاك بلوك يظهرون في الشوارع والميادين، لأمن البلاد مخربين، وفصيل تلو فصيل إلى كرسي السلطة يتطلعون، وهم عن مصر وأهلها غافلون.. وإنّا لله وإنا إليه راجعون!!

إن الله لا يصلح عمل المفسدين

لقد بعث الله نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٣٣]، بعث الله نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل، واندراس من العلم والهدى، والأرض مليئة بالفساد في كل شئون وأحوال البشرية، بعثه الله في قوم يعيشون جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، لا يعرفون حقًا من باطل، ولا هدى من ضلال، ولا يميزون بين معروف ومنكر، نشأوا على هذه الضلالة حتى استقرت في نفوسهم، والأرض مليئة بالظلم والإجرام والعدوان والفساد العظيم، فأرسل الله نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم فأصلح به الأرض بعد فسادها، وألَّف به القلوب بعد شتاتها، وهدى الله به من الضلالة، وبصَّر به من العمى، قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥- ١٦].

والناظر إلى ما يحدث على أرض مصر يجد من المفسدين الكثيرين ، والمولى سبحانه ينهانا عن الفساد في الأرض بعد

إصلاحها، فإذا كانت الأرض قد صلحت بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله ينهانا أن نُفسد فيها بعد إصلاحها، فالله لا يحب الفساد، (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ) [يونس: ٨١]. فالمفسدون في الأرض الذين ينشرون الباطل والإلحاد، ويدعون إلى الضلال، ومخالفة الشريعة والتنكر لها، معتقدين أن الشريعة قد انتهى دورها في الحياة، وأن العالم يجب أن تكون له نُظم وقوانين بعيدة عن هذا الدين وتعاليمه، أولئك المعادون لهذا الدين، والساعون في القضاء عليه، وعلى تعاليمه ومبادئه، وذلك أعظم الفساد وأقبحه، قال تعالى: (أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة: ٥٠].

وإن من الفساد في الأرض ما يروّجه البعض من الشائعات والأراجيف والأباطيل بقصد نشر الفتن والمصائب، وإشاعة الفوضى، وشحن القلوب بالأحقاد والبغضاء على الإسلام وأهله، فبعضهم -والعياذ بالله- يُسعده أن يرى المجتمع متفككًا تموج به الفتن كقطع الليل المظلم!!

القنوات الفاسدة تُعرض على الفتنة

إن أعداء الإسلام يستغلون كل حدث وكل أمر من الأمور، ليوظفوه في سبيل ضربِ الأمة بعضها ببعض، ونشر الشائعات والأراجيف بين أبناء الوطن، فالواجب على المسلمين في هذه الأوقات أن يتقوا الله، وأن لا ينخدعوا بكل ما يسمعون وما يُعْرَض عليهم؛ فإن كثيرًا من هذه القنوات الفاسدة هي قنوات فتنة وخراب تعيث في الأرض فسادًا، دأبت على نشر الفساد في المجتمع، والسعي لتفريق قلوب أبناء الأمة، وأن تحدث بين صفوف المجتمع بلبلة بما تنشره وتعرضه من آراء وتحليلات وإيحاءات خبيثة، بعيدًا عن مصلحة المجتمع ، فليس هدفهم النصح والإرشاد لما فيه صلاح البلاد والعباد، وإنما هدفهم شحن القلوب حقدًا وبغضًا على المجتمع وعلى من فيه!!

إن الواجب على شباب الأمة أن لا ينخرطوا في تلك الفتن، وأن يتقوا الله في أنفسهم وفي مصر وأهلها، وألا يلتفتوا إلى ما يقوله الأعداء والمنافقون والمغرضون، فالله جل وعلا قد بيّن لنا في كتابه ما بين شياطين الإنس والجن من ارتباط وثيق في سبيل إحداث التصدع في المجتمع المسلم، قال سبحانه: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ) [الأنعام: ١١٢، ١١٣].

> يعمد الكثيرون ممن لا يهمهم سلامة مصر وأبنائها إلى إيقاع الفتن وإحداث الفساد .. وإن من الفساد في الأرض ما يروجه البعض من الشائعات والأراجيف والأباطيل بقصد نشر الفتن والمصائب، وإشاعة الفوضى، وشحن القلوب بالأحقاد والبغضاء على الإسلام وأهله.

أصحاب التحالفات البغيضة يُشعلون الفتنة في مصر

إن ما يحدث على أرض مصر طوال الأيام الماضية ومنذ ٢٥ يناير الماضي، وما نتج عنه من خراب ودمار في أماكن كثيرة من مصر ليؤكد على أنه يوجد تحالف عجيب غير مسبوق بين علمانيين وليبراليين، واشتراكيين وشيوعيين وثوريين، وفلول، وقتلة ومندسين؛ شتاتٌ لا يجمعه إلا كراهية تطبيق الشريعة، ومعاداة المشروع الإسلامي، والرغبة المدمرة في التخلص من التيار الإسلامي، وتصفية حسابات الفشل والخسارة الانتخابية والسياسية والفكرية... هذا التحالف يجتمع اليوم ليس بحثًا عن الحرية والعدالة الاجتماعية، أو الثورة على الاستبداد والديكتاتورية كما يروّجون ويخدعون الشباب بتلك الشعارات البراقة، والكلمات الرنانة الطنّانة، لكنهم يشعلون النيران في كل بقعة من أرض الوطن على أمل سقوطه بالكامل، ولكن مصر محفوظة بحفظ الله تعالى لها!

البلطجة .. فتنة في الأرض وفساد كبير

وقد انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة البلطجة، واستخدام العنف والقوة لترويع الآمنين، ونهب ممتلكاتهم، وهي كبيرة من كبائر الذنوب، وانتشارها يقوّض الأمن والاستقرار في البلاد الذي حرصت الشريعة الإسلامية على إرسائه في الأرض، وجعلته من مقتضيات مقاصدها، والتي من ضروراتها الحفاظ على النفس والمال والعرض.

وقد نهت الشريعة عن مجرد ترويع الآمنين حتى ولو كان على سبيل المزاح، أو باستخدام أداة حادة صغيرة، أو بأخذ مال الغير ولو قلت قيمته، فقد أخرج

> **هناك نوعية غريبة من البشر؛ تجردت من كل القيم والمبادئ والأخلاق؛ بحثًا عن المناصب، وطمعًا وراء السلطة، لا يبالون بدماء سُفكت، وأموال ضاعت، وبلاد خُربت، ففي كل واد للفتنة يهيمون، قتلهم حب الدنيا، وأعماهم الحرص على المناصب، والكراسي، وعشق السلطة !!**

الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ». [البخاري: ٦٦٦١، ومسلم: ٢٦١٧]. وزاد الإمام مسلم في روايته قال: «قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ». [مسلم: ٢٦١٦]. وأخرج البزار والطبراني عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تروّعوا المسلم؛ فإن روعة المسلم ظلم عظيم».

فإذا زاد الترويع إلى حد الاستيلاء على الممتلكات بالقوة ، أو حتى بالتهديد بها، فضلاً عن الخطف أو الاعتداء على النفس أو العرض، فكل ذلك من باب الحرابة وقطع الطريق، وهو كبيرة من كبائر الذنوب.

وقد شدد القرآن الكريم على المفسدين في الأرض والذين يسعون في فسادها وغلظ عقوبتها أشد التغليظ، فقال سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة: ٣٣].

وقد أوجب الشرع على الأفراد والمجتمعات أن يقفوا بحزم وحسم أمام هذه الممارسات الغاشمة، وأن يواجهوا أهلها بكل ما أوتوا من قوة؛ حتى لا تتحول إلى ظاهرة تستوجب العقوبة العامة وتمنع استجابة الدعاء، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده». [أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح].

والبلطجة كبيرة من الكبائر، وإفساد في الأرض، وجريمة نكراء حتى في نظر القانون الوضعي؛ حيث أفرد لها المواد العقابية التي أضيفت إلى قانون العقوبات، وشددت فيها العقوبة عن غيرها؛ تصديًا لانتشار هذه الجرائم ومنعها. ومن ضروب البلطجة : الاعتداء على المنشآت العامة، أو التسبب في تعطيلها، أو قطع طرق المواصلات العامة، أو شل حركة المرافق الحيوية التي تعتبر شريانًا لحياة الناس في حراكهم المعيشي اليومي وعجلة حياتهم المستمرة.

المحن والأزمات ودورها في صقل الشعوب !!

للمحن والأزمات شأن عظيم في صقل الأمم ورقيها، وما نشاهده اليوم من آلام وأوجاع يجعل الناظر في تاريخ مصر لا يجد عناء في الوقوف على تميُّز حضارتها، وتحقق قيادتها وسيادتها وريادتها على بقاع كبيرة من أرجاء المعمورة ردحًا من الدهر، ومردّ تلك الغلبة وذلك العلو إلى الاعتصام بالوحيين الشريفين، ولزوم قاعدة الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف؛ تحقيقاً لقوله سبحانه: « إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ » [الأنبياء: ٩٢].

كما لا يلقى المتأمل في وضعها الراهن عناء في القول: إن أمتنا المصرية قد أظلها زمان حالك بالغوائل والمدلهمات تتناوشها نصال الأعداء ، وترمقها مُقل حاسدة وأجساد حاقدة أضمرت الكيد والعداء لها، مع ما تعانيه من شتات ذاتي، ونفور داخلي، وصراع بيني، وفهم أحادي لكثير من القضايا، وظهور أفكار منحرفة هدامة، فلم يزد ذلك في جسد الأمة إلا أوصاباً وتفريقاً، وجروحاً وتمزيقاً، ولله سبحانه في ذلك كله الحكمة البالغة، كما قال سبحانه: «وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً »[الأنبياء: ٣٥].

وكم للمحن والأزمات من شأن جليل في صقل الأمم ورقيها ، ولكن كل يوم يمضي من حياة الأمة لا تشخص فيه عللها، ولا تأخذ فيه بأسباب النهوض من كبوتها ليؤخرها أمداً بعيداً، ويزيد من تمكن اليأس والقنوط لدى كثير من الشرائح في جدوى تماثلها للشفاء، واستئناف تسنمها لذرى العلياء.

إن شريعتنا الغراء قصدت إلى الألفة والوفاق، ونأت عن مسالك التنازع والشقاق والافتراق، ونادت بالمحبة والإخاء، وحضت على التسامح والتراحم والتلاحم والتناصر لاسيما بين أهل الحق أهل المنهج الواحد، والكتاب والسنة ذاخران بالبراهين المشرقة على تلك الصفات المتوهجة بكل معاني الغايات السامية، يقول الله سبحانه: « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ

بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » [آل عمران ١٠٣] ، وفي ذلك امتنان بتغيير الحال المتشتت الشنيع إلى الحال المنتظم البديع، ومن مشكاة النبوة قوله عليه الصلاة والسلام: (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون) رواه الترمذي وصححه الألباني.

مقترح بلا مبادرة

مع ازدياد حالة الريبة والشك بين الفصائل المتناحرة على السلطة للوصول إلى كرسي الحكم ، وطرف ثالث ليس هو الذي كنا نبحث عنه أو نلقي عليه الاتهام منذ ٢٥ يناير ٢٠١١ عندما كانت تقع واقعة أو تحدث حادثة وتنسب إلى طرف ثالث خفي لا نعلمه حتى الآن ، ولكن أطراف وفصائل وجدت نفسها بين فصيلين من نجح ومن فشل فارادت أن يكون لها موطئ قدم في اللعبة ، ولكنني أؤكد على نقاط عدة كمقترح أوجزه في التالي:

١. إصدار قرار رئاسي بتشكيل لجنة من الشخصيات والرموز المخلصة التي لم تلوث أيديهم ولا ألسنتهم وما أكثرهم بفضل الله تعالى تسمى لجنة الحكماء.

٢. وقف كل أعمال التظاهر والإضرابات والاحتجاجات لفترة معينة وأقترح لها ستة أشهر لإعطاء الفرصة لإنقاذ مصر من المصير المظلم الذي يسعى لدفعنا إليه أعداء البلاد ومن ماتت ضمائرهم.

٣. تشكل لجنة من حكماء مجلس الشورى وشخصيات تمثل كل القطاعات لحصر المطالب العادلة لجميع قطاعات الشعب، ووضع خطة زمنية لحلها بحسب الإمكانيات المتاحة للدولة.

٤. الاتفاق على المواد المختلف عليها في الدستور وإعادة صياغتها ، وعدم الانتظار لوجود مجلس شعب منتخب ؛ حتى تكون هناك مصداقية، ولتفويت الفرصة على أصحاب المؤامرات والنوايا السيئة.

٥. عودة الشرطة بشكل فعلي يشعر به القاصي والداني مع إعطائها الصلاحيات التي تمكنها من تلك العودة والضمانات القانونية لكي يمارسوا أعمالهم بدون خوف أو تردد.

٦. إصدار قوانين تجرّم حمل السلاح الأبيض والناري وتجريم أعمال البلطجة والاعتداءات يشدد العقوبة ويغلظها بشكل رادع.

٧. تشكيل حكومة انتقالية لحين إجراء انتخابات مجلس الشعب لا يمثل فيها أي فصيل من الفصائل الموجودة على الساحة .

٨. الدعوة لمؤتمر اقتصادي كبير يضم الخبراء الاقتصاديين في مصر وأبناء مصر في الخارج لمناقشة وضع خطط للنهوض باقتصاد مصر ووضع الأطر التي تتطلب وضع مصر في مكانها الطبيعي في أوائل الاقتصاديات الدولية والنمور الاقتصادية.

> **يوجد تحالفٌ عجيب غير مسبوق بين علمانيين وليبراليين، واشتراكيين، وشيوعيين، وثوريين، وفلول، وقتلة، ومندسين؛ شتاتٌ لا يجمعه إلا كراهية تطبيق الشريعة، ومعاداة المشروع الإسلامي، والرغبة في التخلص من التيار الإسلامي، وتصفية حسابات الفشل والخسارة الانتخابية!!**

الأزهر قلعة سُنية تتكسر عليها محاولات نشر التشيع

إن الأزهر قلعة سُنية تتكسر عليها محاولات نشر التشيع، ومع ما تمر به مصر في الآونة الأخيرة تأتي زيارة أحمدي نجاد لتؤكد من خلال اللقاءات التي عقدها بمقر الأزهر على لسان شيوخه أن الأزهر صرحٌ لأهل السنة منذ أكثر من سبعة قرون، فليس للشيعة أن يحلموا بإعادة التراث الفاطمي الباطني إلى مصر.

وإنني لا يسعني في هذا المقام إلا أن أوجّه التحية والاحترام والتقدير للإمام الأكبر شيخ الأزهر على موقفه الواضح والصريح من عدم قبول نشر المذهب الشيعي في مصر، وأن على إيران أن تحترم دول الجوار.

وشيخ الأزهر قد أغنانا جميعاً عن التحدث في تلك القضية؛ فقد طالب الرئيس الإيراني بإعلان التبرؤ من سبّ الصحابة، لاسيما السيدة عائشة رضي الله عنها، وطالبه بالامتناع التام عن محاولة إيجاد مد شيعي في مصر، وأن تحترم بلاده أمن الخليج، وألا تتدخل في شئونه الداخلية، وكذلك رفع الاضطهاد عن أهل السنة في إيران ومنحهم حرية إنشاء مساجد وكذلك الموقف الإيراني المخزي من سوريا وشعبها والمشاركة في مساندة النظام السوري ضد شعبه .

اللهم احفظ مصر وأهلها، وأنزل عليهم السكينة والوئام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحلقة السابعة

تفسير سورة الزمر

« قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»

[الزمر: ٤٦ – ٥٣].

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد:

قال رب احكم بالحق:

لما ذكر الله تعالى أن المشركين يشمئزون عند سماع التوحيد، ويستبشرون عند سماع الشرك، أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يحكم بينه وبينهم فيما هم فيه يختلفون، فقال تعالى: «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»: أي: «قُلْ» يا نبينا «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي منشئوهما على غير مثال سابق، «عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» أي الذي يعلم ما يغيب عن العباد وما يشهدونه، فلا شيء يغيب عن الله تعالى، كما قال تعالى: « وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» [يونس: ٦١]: أي: ما يغيب عن علمه، وسمعه، وبصره، ومشاهدته «مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ»، «أَنْتَ» وحدك «تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»، فاحكم بيني وبين قومي فيما يخالفونني فيه، كما قال تعالى: « قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ» [الأنبياء: ١١٢].

وأكبر اختلاف هو اختلاف المؤمنين والكافرين، والموحدين والمشركين، والله وحده هو الذي يُحق الحق، ويُبطل الباطل، وهو وحده الذي يفصل بين المختلفين، كما قال تعالى: « إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ» [الأنعام: ٥٧].

وقد صرّح ربنا سبحانه بالفصل بين أهل التوحيد وغيرهم من أهل الشرك، فقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» [الحج: ١٧]، وبيَّن نتيجة الفصل فقال: «هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ» [الحج: ١٩- ٢٤].

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يصلي استفتح بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدني لِمَا اخْتُلِفَ فيه مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [صحيح مسلم ح٧٧٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ! مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ. قَالَ: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ». [صحيح سنن الترمذي للألباني ح٣٣٩٢]

لا فدية يوم القيامة:

ثم بيَّن الله تعالى أن الكافرين يتمنَّون يوم القيامة أن يفتدوا أنفسهم من عذاب الله بأي شيء، وأن الله تعالى لا يقبل منهم فدية، فقال تعالى: «وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» وهم الكافرون، كما قال تعالى: «وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ» [البقرة: ٢٥٤]، «مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا» من قصور، وذهب، وفضة، وجنات، وعيون، «وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ولن يُقبل منهم، كما قال تعالى: «يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ» [المعارج: ١١- ١٨].

وقال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ» [آل عمران: ٩١]، وقال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» [المائدة: ٣٦- ٣٧].

«وَبَدَا لَهُمْ» أي ظهر لهم «مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ»، فقد كانوا يحسبون أن أعمالهم حسنة، فإذا بها سيئة، وقد كانوا يظنون أن أعمالهم مقبولة، فإذا هي مردودة، وقد كانوا يحسبون أنهم أهل الجنة، فإذا هم يُساقون إلى النار.

وقد رُوِيَ عن بعض السلف أنه لما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فتلا هذه الآية، وقال: أخاف أن يبدوَ لي من الله ما لم أحتسب.

«وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا»: قالوا: المراد بالسيئات هنا جزاؤها لا السيئات نفسها، فإن جزاء السيئة يسمَّى سيئة، كما قال تعالى: «وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا» [الشورى: ٤٠]، «وَحَاقَ بِهِمْ» أي: أحاط بهم «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» في الدنيا؛ حيث كانوا يُخوَّفون فلا يَخافون، كما قال تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا» [الإسراء: ٦٠].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ» قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ «وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ» شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. [صحيح البخاري ح٤٧١٦].

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال المشركون: يخبرنا محمد أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر. فكان ذلك فتنة لهم.

وعن ابن عباس وغيره: قال أبو جهل: هاتوا لنا تمرا وَزُبْدًا، وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول: تزقموا، فلا نعلم الزقوم غير هذا. [تفسير ابن كثير ٣/٤٨].

ومن شدَّة تكذيبهم واستهزائهم سألوا اللهَ أن يُعَجِّل لهم العذاب، «وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ» [ص: ١٦]، «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» [الأنفال: ٣٢].

فيوم القيامة يُساقون إلى النار، ثم يُوَبَّخُون على تكذيبهم واستهزائهم، كما قال تعالى: «فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» [الطور: ١١- ١٦]، وقال تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ» [السجدة: ٢٠]، وقال تعالى: «إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ» [الدخان: ٤٣- ٥٠]، وقال تعالى: «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ» [المطففين: ١٠- ١٧].

حال الإنسان في السَّرَّاء والضَّرَّاء:

ثم يُخبر الله تعالى عن حال كثير من الناس في السراء والضراء، وأنهم ينسونه في السراء، ويلجئون إليه في الضراء، فقال تعالى: «فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا» لعلمه أنه لا يكشف الضر إلا الله، «ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا» أي تفضلنا بها عليه، من غير استحقاق له علينا، «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ»: يريد: إن الله يعلم أنني أستحقُّ هذه النعمة، أو: أوتيتُه على علم عندي، وبسبب خبرتي، لا بفضل الله، فكذبه اللهُ فيما قال، وصحَّح له المفاهيم الخاطئة، فقال: «بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»، كما قال تعالى: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» [التغابن: ١٥]، وقال تعالى: «وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً» [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ» [طه: ١٣١]، وقال تعالى: «وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» [الجن: ١٦- ١٧].

فهذه هي الحكمة من العطاء، وهذا هو السِّرُّ في السراء، فمن أبصر وعلم أن الله ابتلاه بما أعطاه، ليعلم أَيَشْكُرُ أم يكفر، فَحَمِدَ اللهَ وشكره، زاده الله من فضله، ومن عَمِيَ، و «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ» فلا يلومنَّ إلا نفسه، إذا زالت النعمة من عنده، قال تعالى: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» [إبراهيم: ٧]. وقصَّ الله علينا في القرآن الكريم من القصص ما فيه عبرة لمن اعتبر، قال تعالى: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» [القصص: ٧٦- ٨٢].

وقص علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه عبرة لمن اعتبر، ولذلك قال الله تعالى: «قَدْ قَالَهَا» يعني كلمة «إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ»، «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» كقارون، والثلاثة من بني إسرائيل، «فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» من الأموال والأولاد، «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا» كما حكى

الله تعالى عن قارون، «فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ»، «وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ» المعاصرين، وقالوا كما قال المفتونون السابقون، « سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » [الأحزاب: ٦٢]؛ لأن الله تعالى لا يُجامل ولا يُحابي، «وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ» اللهَ سبحانه، ولا فارِّينَ من عذابه، كما صح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قال ثم قرأ «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» [البخاري ح٤٦٨٦].

«أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» وفق الحكمة القائمة على العلم، فيُوسِّعُ على من يشاء ولو كان كافرًا، ويُضيِّقُ على من يشاء ولو كان مؤمنًا؛ لأن الدنيا لا قيمة لها عند الله، فعن المستورد بن شداد قال: كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟ قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله. قال: فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها. (سنن الترمذي ح٢٣٢١ وصححه الألباني)، بل إن الله تعالى قال: « وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ » [الزخرف: ٣٣- ٣٥].

«إِنَّ فِي ذَلِكَ» البسط والقبض، والتوسعة والتضييق، «لَآيَاتٍ» ولكن «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»، فالمؤمنون دون غيرهم، هُمُ الذين يتفكرون ويتذكرون، ويبصرون ويعتبرون، وأما غيرهم فهم كما قال الله تعالى: « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ » [البقرة: ١٨]، «لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا» [الأعراف: ١٧٩]، « سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ » [الأعراف: ١٤٦].

لا تقنطوا من رحمة الله:

«قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»:

هذا ترغيب من الله تعالى لعباده في التوبة مهما كثرت ذنوبهم، فالله يغفر الذنوب جميعًا، وليس هناك ذنب لا يغفره لمن استغفر منه، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً، فَنَزَلَ «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ» وَنَزَلَتْ «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» [صحيح البخاري ح٤٨١٠].

فلا يأس من روح الله، ولا قنوط من رحمته، فعن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» [صحيح مسلم ح٢٧٤٩]، والله تعالى يعذب الذين يُقنِّطونَ عباده من رحمته، فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول أقصر فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر فقال خلني وربي أبعثت عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالمًا؟ أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت (أهلكت) دنياه وآخرته. [سنن أبي داود ح٤٩٠١ وصححه الألباني].

وللحديث بقية إن شاء الله.



الحلقة الرابعة

من أحكام البـيـع بالتقسيط

حكم سداد الأقسـ

إعداد/ أ. د. علي السالوس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فما يزال حديثنا موصولاً حول أحكام البيع بالتقسيط، وقد تكلمنا في العدد السابق عن مشكلة التأخر في دفع الأقساط، وهل للمصرف مطالبة المدين المماطل بالتعويض، ونتحدث في هذا العدد - بعون الله تعالى - عن:

حلول الأقساط قبل موعدها

المصارف الإسلامية التي لا تأخذ بالنظام السابق - حيث لم تجزه هيئات الرقابة الشرعية لديها- رأت أن اتخاذ الإجراءات ضد المدين المماطل يكلفها الكثير، فنصت في عقود البيع على أن المشتري إذا تأخر في دفع قسطين متتالين، فإن باقي الأقساط تحل فورًا، ويحق للمصرف المطالبة بجميع الأقساط، واتخاذ ما يراه لازمًا للوصول إلى حقه.

اللجوء إلى التحكيم:

ورأت هذه المصارف كذلك أن تلجأ إلى التحكيم لرفع الضرر: فيختار المصرف حَكَمًا، ويختار المشتري حَكَمًا، ويختار الحكمان حكمًا ثالثًا: وينظر المحكمون في الموضوع من جميع جوانبه، ويكون حكمهم ملزمًا للطرفين غير قابل للنقض، سواء أصدر بالإجماع أم بالأغلبية.

ضع وتعجل:

يلجأ بعض التجار إلى ما يُعرف في الفقه الإسلامي باسم: (ضع وتعجل)، والمراد من ضع وتعجل التنازل عن جزء من الدين المؤجل، ودفع الجزء الباقي في الحال.

ورُوي أن ابن عباس سئل عن الرجل يكون له الحق على الرجل إلى أجل فيقول: عجل لي وأضع عنك، فقال: لا بأس بذلك.

وروي أيضًا أن ابن عباس قال: إنما الربا: أخِّر لي وأنا أزيدك، وليس: عجِّل لي وأضع عنك.

[انظر: مصنف عبد الرزاق ٨/٧٢].

ويذكر أن الذين أجازوه كذلك هم: النخعي: وهو من التابعين، توفي سنة ٩٦هـ، وزفر: من أصحاب أبي حنيفة، توفي سنة ١٥٨هـ، وأبو ثور: من أصحاب الشافعي، وتوفي سنة ٢٤٠هـ.

أما الذين لم يجيزوا (ضع وتعجل) فهم عامة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، والأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء.

ومما رواه الحافظ عبد الرزاق (المتوفى سنة ٢١١) في مصنفه تحت «باب الرجل يضع من حقه ويعجل» ما يأتي:

أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الزهري أن ابن المسيب وابن عمر قالا: من كان له حق على رجل إلى أجل معلوم، فتعجل بعضه وترك له بعضه، فهو ربًا، قال معمر: ولا أعلم أحدًا قبلنا إلا وهو يكرهه.

أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن ذكوان عن بسر بن سعيد عن أبي صالح مولى السفاح قال: بعتُ بزًا إلى أجل، فعرض عليَّ أصحاب الدَّيْن أن يعجلوا لي وأضع عنهم، فسألت زيد بن ثابت عن ذلك فقال: لا تأكله ولا تؤكله.

أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: أخبرني أبو المنهال عبد الرحمن بن مطعم قال: سألت ابن عمر عن رجل لي عليه حق إلى أجل، فقلت: عجِّل لي وأضع لك، فنهاني عنه، وقال: نهانا أمير المؤمنين أن نبيع

ـــاط قبـــل مـــوعـــدهـــا

العين بالدَّيْن.

أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن قيس مولى ابن يامين قال: سألت ابن عمر، فقلت: إنا نخرج بالتجارة إلى أرض البصرة وإلى الشام، فنبيع بنسيئة ثم نريد الخروج، فيقولون: ضعوا لنا وننقدكم، فقال: إن هذا يأمرني أن أفتيه أن يأكل الربا ويطعمه، وأخذ بعضدي ثلاث مرات، فقلت: إنما أستفتيك، قال: فلا.

والإمام مالك رضي الله عنه تحدث عن هذا الموضوع في الموطأ، فجعله تحت: باب ما جاء في الربا في الدَّيْن، عن عثمان بن حفص بن خلدة، عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر، أنه سئل عن الرجل يكون له الدَّيْن على الرجل إلى أجل، فيضع عنه صاحب الحق ويعجله الآخر، فكره ذلك عبد الله بن عمر، ونهى عنه.

وعن زيد بن أسلم أنه قال: كان الربا في الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الحق إلى أجل، فإذا حل الأجل، قال: أتقضي أم تربي؟ فإن قضى أخذ، وإلا زاده في حقه، وأخر عنه في الأجل.

قال مالك: والأمر المكروه الذي لا اختلاف فيه عندنا، أن يكون للرجل على الرجل الدَّيْن إلى أجل، فيضع عنه الطالب ويعجله المطلوب، وذلك عندنا بمنزلة الذي يؤخر دينه بعد محله عن غريمه، ويزيده الغريم في حقه، قال: فهذا الربا بعينه، ولا شك فيه. (راجع الباب في كتاب البيوع من الموطأ).

وابن رشد الحفيد يبين سبب الخلاف، فيقول في بداية المجتهد (١٤٤/٢): وعمدة من لم يُجز (ضع وتعجل) أنه شبيه بالزيادة مع النظرة المجمع على تحريمها، ووجه شَبَهه بها أنه جعل للزمان مقدارًا من الثمن بدلًا من الموضعين جميعًا، وذلك أنه هنالك لما زاد له في الزمان زاد له عوضه ثمنًا، وهنا لما حطّ عنه الزمان حط عنه في مقابلته ثمنًا، وعمدة من أجازه ما روي عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بإخراج بني النضير جاءه ناس منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضعوا وتعجلوا» وفي صحته نظر. والله أعلم. (البداية والنهاية ٧٥/٤).

وفي سنن البيهقي (٢٧/٧) نجد بابًا بعنوان: «من عجّل له أدنى من حقه قبل محله فيقبله، ووضع عنه، طيبة به أنفسهما».

وتحت الباب يذكر بسنده أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن يظله الله في ظله فلينظر معسرًا، أو ليضع عنه».

وحديثًا آخر: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فليُنْظِر معسرًا أو ليضع عنه».

ثم يذكر أن ابن عباس كان لا يرى بأسًا أن يقول: أعجل لك وتضع عني.

قال: وقد روى فيه حديثًا مسندًا في إسناده ضعف، وذكر هذا الحديث الضعيف.

وبعد الباب السابق يأتي باب: «لا خير في أن يعجله بشرط أن يضع عنه». (٢٨/٦).

وتحت الباب ذكر عدة أخبار تتفق مع روايات عبد الرزاق التي أثبتناها من قبل.

٢- لو صح الحديث يمكن أن يدل على حكم خاص لا يقبل التعميم، فالأمر هنا لليهود، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ» [النساء: ١٦٠-١٦١].

فما يضعونه قد يكون من الربا، ومن أموال الناس التي أكلوها بالباطل، وهذا لا ينطبق على المسلمين.

٣- ابن عباس - رضي الله عنهما - حبر الأمة وترجمان القرآن، ولكنه عندما ينفرد بالرأي دون الصحابة الكرام، فقد لا نجد حرجًا في عدم الأخذ برأيه، ولذلك خالفه التابعون، والأئمة الأعلام.

٤- قد لا نجد فرقًا بين أن يأخذ الدائن مائة

لتأجيل ألف، وأن يعطي مائة لتعجيل ألف. والحالة الثانية في حقيقتها هي: ضع وتعجل، ولذلك كان قول الإمام مالك: فهذا الربا بعينه، لا شك فيه.

الاحتفاظ بملكية المبيع أو رهنه:

يلجأ بعض التجار - ضمانًا لحقهم - إلى الاحتفاظ بملكية المبيع إلى أن يتم دفع جميع الأقساط، وإذا كان من حق البائع أن يستوثق لحقه فيمكنه أن يلجأ لعقود الاستيثاق كالرهن والضمان، ولكن ليس من حقه أن يمنع أهم الآثار المترتبة على العقد.

وقد يلجأ البائع إلى الطريقة المباشرة للاحتفاظ بالمبيع، وإنما يلجأ إلى عقد آخر، وهو ما يسمى بالبيع التأجيري، أو الإجارة المنتهية بالتمليك.

وكل العقود التي رأيتها لا تخرج عن كونها حيلة للاحتفاظ بملكية المبيع؛ فما يسمى بالإيجار يتناسب مع ثمن المبيع لا أجرة العين المؤجرة.

والتزامات ما سُمي بالمستأجر هي التزامات المشتري.. وهكذا.

أما اللجوء إلى الرهن، فهو يتنافى مع مقتضى العقد، غير أنه قد يكون ضروريًا، إذا لم يقدم المشتري للبائع ضمانات كافية.

ومما يقلل من أضرار الرهن في عصرنا عدم ضرورة حبس العين تحت يد المرتهن في كثير من الحالات؛ حيث تسلم العين للمشتري، ويكتفي بتسجيل أنها مرهونة مقابل مبلغ كذا للبائع، وهذا التسجيل يمنع المشتري من التصرف في المبيع بأي عقد من العقود الناقلة للملكية، أو تعلق حق لأي أحد يتعارض مع حق البائع، حتى يفك الرهن.

أثر الموت في حلول الأجل:

إذا مات البائع قبل استيفاء الثمن انتقلت الملكية للورثة، فإذا كان الثمن أقساطا مؤجلة، فليس من حق الورثة المطالبة بها قبل موعدها.

ولكن إذا مات المشتري قبل أداء الأقساط، كلها أو بعضها، فهل للبائع أن يطالب بحقه قبل توزيع التركة، أم بعد توزيع التركة على الورثة، ويكون الدين في ذمتهم، يؤدونه في موعده؟

إذا لم يوثق الورثة الدَّين برهن أو غيره فللبائع أن يطالب بدَيْنه قبل توزيع التركة.

أما إذا وثقوه بما يضمن حق البائع، وأداء الأقساط في مواعيدها، أفيبقى حقهم في الأجل، أم أن الأجل كان حقًا للمشتري ما دام حيًا، وبموته يسقط هذا الحق ويحل الأجل؟

يرى الحنفية والمالكية والشافعية أن الدَّيْن يحل بالموت، وأن الأجل يسقط بموت من له الأجل.

فإذا مات المدين حل أجل الدين، وإذا كان له كفيل ومات في حياة المدين سقط الأجل بالنسبة للكفيل، وكان للدائن أن يطالب ورثته، وأن يأخذ حقه من مال الكفيل قبل توزيع التركة.

جاء في المدونة (٢٥٧/٥) تحت عنوان: «في الحميل أو المتحمل به يموت قبل محل الحق»، ما يلي:

«أرأيت إن تكفلت لرجل بما له على رجل إلى أجل، فمات الكفيل، أو مات المكفول به؟ (قال): قال لي مالك: إذا مات الكفيل قبل محل الأجل، كان لرب الحق أن يأخذ حقه من مال الكفيل، ولا يكون لورثة الكفيل أن يأخذوا من الذي عليه الحق شيئًا حتى يحل أجل المال.

(قال مالك): وإن مات الذي عليه الحق قبل الأجل، كان للطالب أن يأخذ حقه من ماله، فإن لم يكن له مال لم يكن له أن يأخذ الكفيل بالحق حتى يحل الأجل».

وفي الشرح الصغير للدردير (١٥٩/٢): «(وعجل الدين بموته) أي الضامن قبل الأجل، (من تركته) إن كان له تركة (ورجع وارثه) أي وارث الضامن على الغريم (بعد الأجل أو) بعد (موت الغريم) على تركته (إن تركه) أي إن ترك ما يؤخذ منه الدين، وإلا سقط».



وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

تجديد الدين الذي ننشده

روى أبو داود في «سننه»، والحاكم في «مستدركه»، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار»، والخطيب في «التاريخ»، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها». [والحديث أخرجه أبو داود (٤/١٠٩، رقم ٤٢٩١)، والحاكم (٤/٥٦٧، رقم ٨٥٩٢)، والبيهقي في المعرفة (١/٢٠٨، رقم ٤٢٢)، والطبراني في الأوسط (٦/٣٢٣، رقم ٦٥٢٧)، والخطيب (٢/٦١)، والديلمي (١/١٤٨، رقم ٥٣٢). قال المناوي (٢/٢٨٢): قال الزين العراقي وغيره: سنده صحيح، وصححه الألباني].

إعداد/ أ.د. السيد عبد الحليم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها». صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. [والحديث أخرجه أبو داود (٤/١٠٩، رقم ٤٢٩١)، والحاكم (٤/٥٦٧، رقم ٨٥٩٢)، والبيهقي في المعرفة (١/٢٠٨، رقم ٤٢٢)، والطبراني في الأوسط (٦/٣٢٣، رقم ٦٥٢٧)، والخطيب (٢/٦١)، والديلمي (١/١٤٨، رقم ٥٣٢). قال المناوي (٢/٢٨٢): قال الزين العراقي وغيره: سنده صحيح، وصححه الألباني].

وقد اخترت هذا الموضوع في ضوء الحديث الشريف لسببين رئيسيين:

السبب الأول: أن أقاوم موجة اليأس التي انتشرت بين المسلمين في الزمن الأخير، والظن القائم أن الدين دائمًا في إدبار وأن الكفر في إقبال، وأننا في آخر الزمان، وأنه لن تقوم للإسلام دولة ولن ترتفع له راية، وعززوا هذا الفهم بأحاديث وردت في الفتن وأشراط الساعة ظنوا معها أنه لا فائدة من عمل يُرجى، ولا من إصلاح يُنشد، واعتمدوا على أحاديث مثل أحاديث: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء». مع أن في رواية هذا الحديث: «قيل: ومَن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي» [الترمذي وضعفه الألباني].

فليس الغرباء قومًا سلبيين، وإنما هم مصلحون مجددون عاملون إيجابيون، اعتمدوا على حديث مثل حديث أنس «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه» رواه البخاري، مع أن الحافظ ابن حجر في شرحه للبخاري قال: إن هذا مخصوص بالمخاطبين، وإن فِهمَ الصحابي العموم، وإلا لتناقض هذا الحديث مع الواقع التاريخي، فقد جاء زمن مثل عمر بن عبد العزيز وكان خيرًا من بعض الأزمنة التي قبله، وأيضًا جاء في الأحاديث بأن الإسلام سيكون له شأن في آخر الزمان عند ظهور المهدي وعند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.

هكذا جاءت الأحاديث: إذن فلا ينبغي أن تُؤخذ هذه الأحاديث كما يفهمها بعض الناس فهمًا خاطئًا، وينتهون منها إلى أن الأمر لم يعد هناك سبيل إلى إصلاحه.

وهل يعقل أن يأتي محمد صلى الله عليه وسلم

بدين يدعو الناس فيه للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإصلاح الفساد، ثم يقول للناس أحاديث تثبط هِمَمَهُم، وتضعف عزائمهم من عمل الخير وخير العمل.

السبب الثاني - لاختيار هذا الموضوع - هو التخبط، والتخبط الذي نراه عند كثيرين عندما يتحدثون عن تجديد الدين، ما المراد بالتجديد؟
هناك قوم يريدون أن يجددوا الدين كأنما يريدون أن يُحدثوا طبعة جديدة منقّحة من هذا الدين، إنهم يريدون دينًا جديدًا غير الدين الذي دعا إليه محمد صلى الله عليه وسلم، و التزم به خلفاؤه الراشدون من بعده، والسلف الصالح لهذه الأمة، هؤلاء الذين سخر منهم أديب العربية والإسلام مصطفى صادق الرافعي حينما قال: «إنهم يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر».
لا بد أن نتحدث هنا عن المجدِّد، وعن المجدَّد، وعن المُجَدَّد له، وعن معنى التجديد، ومداه وجوانبه، ومن يجدد؟

ذهب فريق إلى أن المجدد فرد واحد:

ذهب الأكثرون من شراح هذا الحديث إلى أن المجدد فرد، فهموا من كلمة «من يجدد لها دينها» أنه شخص واحد، وعلى هذا اشتهر أن مجدد المائة الأولى هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ومجدد المائة الثانية هو محمد بن إدريس الشافعي، إذ إن عمر بن عبد العزيز توفي سنة ١٠١هـ، والإمام الشافعي توفي سنة ٢٠٤هـ.

وآخرون ذهبوا إلى أن المجدد جماعة:

ذهب الإمام ابن الأثير في «جامع الأصول»، وكذلك الإمام الذهبي إلى أن كلمة «من» كما أنها تصلح للمفرد تصلح للجمع، «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، لماذا جعلناه واحدًا مع أن «مَن» تصلح للمفرد وتصلح للجمع.
فإن قيل: إن الله ينصر من يجاهد في سبيله: قد يكون هذا المجاهد فردًا، وقد يكون جماعة، ولذلك قال ابن الأثير: إن هذا المجدد قد يكون مُحَدِّثًا، وقد يكون فقيهًا، وقد يكون مفسِّرًا، وقد يكون قائمًا بالأمر حاكمًا من الحكام، وقد يكون مجاهدًا من الذين يجاهدون في سبيل الله ويجددون الدين عن طريق الحرب والغزو، وليس واحدًا.
ولذلك قال الإمام ابن الأثير: إن من الممكن في السنة الأولى أن يكون عمر بن عبد العزيز من أولي الأمر، ويكون هناك القاسم بن محمد من الفقهاء السبعة، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، وابن سيرين، وعدد عديدًا من الناس، وكذلك كل سنة من السنوات على رأس المائة يمكن أن يكون هناك عدد من المجددين.

كلا الأمرين ممكن:

وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن الذي يقوم بالتجديد والإحياء يمكن أن يكون فردًا، أو أفرادًا، أو جماعة من الناس، أو مدرسة فكرية، أو حركة علمية، أو تربوية، أو فقهية، مجامع مختلفة من الناس، ينتشرون في الأرض كما قال الإمام النووي في شرح حديث: «لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» أخرجه مسلم وغيره.

معنى التجديد:

يأتي بعد ذلك ما معنى التجديد؟ كيف نجدّد في الدين حتى نجدّد الأمة؟ هنا لا بد لنا من وقفة، بعض الناس يُوهمنا كأن التجديد هو تغيير طبيعة الإسلام، وكلمة التجديد لا تفيد هذا؛ لأن تجديد الشيء معناه العودة به إلى يوم نشأ وظهر، كأنه بدأ اليوم، يعني العودة به إلى مجده يوم بدأ، فليس معنى التجديد هو تغيير طبيعة الشيء، أو استحداث شيء مبتكَر، مستحدَث، لو أخذنا مثلاً في الحسيات، إذا أردنا تجديد مبنى أثري عريق فما معنى تجديده؟ معناه أن نُبقي على جوهره، على خصائصه، على مقوماته، على طابعه، على معالمه الرئيسة حتى طريقة نقشه، نُبقي عليه، نرمّم ما تهدّم منه، وما فعلته عوامل التعرية، ولكن ليس معنى التجديد أن نهدم القديم ونقيم شيئًا مستحدثًا على أحدث طراز مكانه هذا ليس تجديدًا.

التجديد الحقيقي:

فتجديد الدين أن نُبقي على جوهر الدين، على خصائصه، على مقوماته، ولكن نُحسن في عرض الدين، نفهمه فهمًا جديدا في ضوء النصوص القطعية، في ضوء المقاصد العامة للشريعة.

أمور ثابتة لا تجديد فيها:

هناك أمور في الدين لا يدخلها اجتهاد، ولا يدخلها تجديد، أمور ثبتت بنصوص قطعية الثبوت، قطعية الدلالة.
هذه هي التي تمثل الوحدة الفكرية والسلوكية للأمة، وهذه لا مجال فيها لاجتهاد المجتهد ولا

لتجديد مجدد، وهي وجوب الواجبات، وحرمة المحرمات، وأصول الفضائل، وأصول الرذائل، والقطعيات في الشريعة، ما عُلم من الدين بالضرورة، كل هذه أشياء لا مجال فيها لاجتهاد ولا لتجديد.

أمور قابلة للتجديد:

هناك منطقتان أخريان: منطقة النصوص الظنية، سواء كانت: ظنية في ثبوتها أو ظنية في دلالتها، وهذه معظم نصوص الشريعة، من فضل الله علينا أنه لم يقيِّدنا بنصوص محكمة قاطعة إلا في القليل، فمعظم النصوص جاءت ظنية لتفسح المجال لاجتهاد المجتهدين، فنجد في المدرسة الحرفية مثل مدرسة الظاهرية والمدرسة الأثرية التي تهتم بالأثر، ومدرسة الرأي، نجد هذه الأفهام.

الاختلاف في فهم النص زمن النبي صلى الله عليه وسلم:

قد ثبت هذا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، في قضية بني قريظة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة» رواه البخاري.

وفي الطريق قال قوم: إنما أراد منا سرعة النهوض فلنصل قبل أن يفوت الوقت، وجماعة قالوا: لا نصلي إلا في بني قريظة، ولو كان ذلك في منتصف الليل.

جماعة أخذوا بالظاهر، وجماعة أخذوا بالفحوى، فما عنَّف النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء ولا هؤلاء، وأقر الاجتهاد، والقرآن قطعي الثبوت ولكن فيه نصوص ظنية الدلالة، والسنة فيها ظني الثبوت وهو الأكثر، وقطعي الثبوت وهو المتواتر، وأكثرها ظني الدلالة.

هنا نجد مجالاً للمجتهدين، لنفهم الأمور من جديد في ضوء ظروفها، وفي ضوء حياتنا ومقاصد شريعتنا، فهذه منطقة ومنطقة أخرى هي التي لا نص فيها؛ لأن الشريعة لم تنص على كل شيء، إنما نصت على أشياء معظمها ما لا يتغير بتغير الزمان والمكان والحال، وتركت أشياء لا نص فيها كما جاء في الحديث: «إن الله حد لكم حدودًا فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» رواه الدارقطني وحسنه النووي والألباني.

منطقة العفو وما سكت عنه:

هناك منطقة سمَّاها العلماء العفو لقول النبي عليه السلام: «وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا»، ثم تلا النبي قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) [مريم: ٦٤] رواه أبو داود بنحوه وصححه الألباني.

هذه المنطقة، منطقة الفراغ التشريعي يمكن أن نملأها عن طريق القياس على المنصوص، وعن طريق الاستصلاح كما يقول المالكية وغيرهم. أيضا عن طريق الاستحسان، وعن طريق سد الذرائع، وعن طريق رعاية العرف، عن طرق شتى، أمامنا متسع لملء هذا الفراغ.

مقولة: هم رجال ونحن رجال:

إذن هناك مجال للتجديد، مناطق مفتوحة للتجديد ومناطق لا يمكن أن يدخلها التجديد، الذين يريدون أن يطوروا الإسلام كله بعقائده وعباداته وقيمه الأخلاقية وقطعيات شريعته، هؤلاء مخطئون وهؤلاء لا يقفون عند حد، هؤلاء التطوريون لا يقفون عند حد، إنهم يقولون لا حاجة لنا بأقوال الفقهاء وإنما هم بشر ونحن بشر، هم رجال ونحن رجال، فإن سلمنا لهم وطرحنا هذه الثروة الفقهية كلها جاءوا وقالوا: لا نستطيع أن نأخذ من السنة إلا القطعي والمتواتر، ولو سلمنا لهم لجاءوا إلى القرآن وقالوا: القرآن نفسه نزل مراعيًا للبيئة، لأنه حينما حرم الخنزير حرم خنازير كانت سيئة التغذية، أما الخنازير التي كانت تربى في حظائر ويشرف عليها أناس وتحت إشراف طبي وعناية صحية فهذه ليست كتلك، وقوم يقولون: الخمر إنما حرم في بلاد حارة، ولو نزل القرآن في بلاد باردة لكان له شأن آخر. ويقولون: المرأة إنما كان لها نصف الميراث لأنها لم تكن تعمل كالرجل ولم يكن لها الاستقلال الاقتصادي.

باب الاجتهاد مفتوح شريطة عدم الخلط:

معنى هذا أننا لو سرنا وراء هؤلاء لما بقي لنا شيء، ولم يبق لنا شرع ، وجعل هؤلاء أنفسهم مشرعين في كل الأمور، لا، نحن نقول لهؤلاء : إن الله أنزل شرعه ليَحكم لا ليُحكم، وليُتبع، لا ليَتَّبِعْ، الشرع ميزان والميزان يجب أن يثبت، هؤلاء الذين يطالبوننا بأن نطوّر الإسلام نقول لهم: إذا كنتم تطالبون الإسلام أن يتطور فأولى بكم أن تطالبوا التطور أن يُسلم، بدلاً من أن تعصرنوه كما

يقولون، العصر هو الذي يجب أن يسلم ويخضع لمقتضيات الشرع القطعي، لا ينبغي أن نخلط بين ما يجوز فيه الاجتهاد والتجديد وما لا يجوز، نحن لا نقول بإغلاق باب الاجتهاد، فهذا قول لم يقله إمام ، قاله بعض المقلدين، والمقلد لا يُقلَّد.

أما من قال من الأئمة: إن باب الاجتهاد قد أُغلق، فمن يملك إغلاق باب فتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الذي نسخ النصوص التي أقرت الاجتهاد؟ لهذا فالاجتهاد قائم وثابت، رأى الحنابلة ومعهم بعض علماء المذاهب الأخرى أن أي عصر لا يخلو من مجتهد ولا يجوز أن يخلو من مجتهد، وألف في ذلك الإمام السيوطي رسالته: «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض»، فالاجتهاد فرض في كل عصر ولو جاز ألا يكون هناك مجتهد ولا اجتهاد في عصر ما فلا يجوز في عصرنا أن يُقال هذا؛ لأن الحياة قد تغيرت، الحياة في العصور الغابرة كانت بطيئة التغير، كانت رتيبة.

حاجة المسلمين إلى فهم الإسلام:

التجديد في هذا الجانب لا بد منه، نحن نحتاج إلى تجديد في الفقه، في الفهم، في الفكر، ولكني أقول: إن الاجتهاد ليس خاصًا بالعلماء، نحن نحتاج إلى تجديد في الفهم بالنسبة لعامة المسلمين، لجماهير المسلمين، لقد فهم الإسلام خطأ، لبسه الناس كما يلبس الفرو مقلوبًا كما يقول أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، أخطأ الناس فهم الإسلام، أخرجوا من الإسلام ما هو من صلبه وأدخلوا فيه ما ليس من صلبه، وقدموا فيه ما حقه التأخير، وأخروا ما حقه التقديم، وهذا شرّ ما يُصاب به الإسلام أن تزيد في الإسلام ما ليس منه، وهذا الابتداع أن تحذف من صلب الإسلام ما هو منه، وهذا للأسف ما نجده في عصرنا بعض الناس يريدون الإسلام نسخة من الأديان الأخرى أو من مذاهب أخرى، يريدون سلاحًا بلا جهاد، أو عقيدة بلا شريعة، أو زواجًا بلا طلاق، أو دينًا بلا دولة، أو حقًا بلا قوة، والإسلام هو هذا كله، الإسلام عقيدة وشريعة، ونظام حياة متكامل: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل: ٨٩].

تجديد الفهم والإيمان والعمل:

إن الإسلام ليس فهمًا فقط ولا فكرًا فقط، غالب الذين يتحدثون عن التجديد يصبون التجديد على الناحية الفقهية والفكرية والعقلية، ولكن الإسلام فهم وإيمان وعمل، لا بد أن نجدد إيماننا.

أيضًا نحن في حاجة إلى تجديد الروح، نحن في حاجة أن نجدد قلوبنا، نحن في حاجة إلى متنسكة معتدلة تزرع في القلوب الخشية لله والرجاء في رحمته، نحن في حاجة إلى هذا النوع من النسك السني الإيجابي، نحن نرفض الذين يقولون: دع الملك للمالك، والخلق للخالق، ولا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر.

نحن نرفض الذين يفرقون بين الحقيقة والشريعة ويقولون: من نظر إلى الخلق بعين الحقيقة عذرهم، بخلاف من نظر إليهم بعين الشريعة.

إنما نريد النسك الذي يربي الخلق كما قال ابن القيم نقلاً عن المتقدمين: «النسك هو الخُلق فمن زاد عليك في الخُلق فقد زاد عليك في النسك».

تجديد العمل:

نحن في حاجة إلى تجديد الإيمان، نحن في حاجة إلى تجديد العمل، العمل بالإسلام، والعمل للإسلام قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [هود: ٧]، (ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الملك: ٢] أي أن الناس لا يتسابقون ولا يتنافسون في حُسن العمل فقط، بل في أحسنية العمل، أيهم يكون أحسن عملاً، فالإسلام دين ودنيا، يجب أن نفهم هذا، لا يمكن أن ننصر ديننا إذا أضعنا دنيانا، نحن في بلاد المسلمين بوأنا الله أحسن البلاد بقعة وأعظمها رقعة وأخصبها أرضًا، الثروات في باطن أرضنا مذخورة وعلى ظاهرها منشورة ومع هذا نعيش عالة على الأمم، في معظم بلاد المسلمين نستورد القوت أو نصف القوت أو أقل أو أكثر في الصناعة، نحن عالة على غيرنا، أمة سورة الحديد لم تتقن حتى اليوم صناعة الحديد، ولا الصناعة المدنية التي يشير إليها قوله تعالى: (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) [الحديد: ٢٥]، هذا إشارة إلى المصنوعات الحربية، (وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ) [الحديد: ٢٥] إشارة إلى المصنوعات المدنية، نحن ينبغي أن نتقن الأمرين، العمل لديننا والعمل لدنيانا، وبهذا نتقرب إلى الله.

والحمد لله رب العالمين.

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة السابعة

إعداد / علي حشيش

٨٠ - «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ فِينَا أَرْوَاحَنَا بَعْدَ إِذْ كُنَّا أَمْوَاتًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/١٠٧/٢٦٩)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/٣٤٧/٩٤٧) من حديث وهب بن عبد الله أبي جحيفة مرفوعًا، وفيه: عبد الرحمن بن مسهر، قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٦٦): «متروك الحديث»، وقال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/١/٣٥١): «فيه نظر».

قُلْتُ: فائدة مهمة: لا بد لطالب العلم أن يعرف معاني هذه المصطلحات عند أئمة الجرح والتعديل حتى تتبين درجة الجرح، وحتى يرجع إليه عندما نذكره في التخريج والتحقيق.

أ- قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١/٣٤٩): «البخاري يُطلق: فيه نظر وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويُطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

ب- قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة»: «كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٨١- كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي التَّشَهُّدِ: «بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الْأَسْمَاءِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/٩٤) (٤/٣١٢) من حديث ابن عمر وفيه ثابت بن زهير أبو زهير بصري، قال فيه البخاري في «الضعفاء الصغير» (٤٤): «منكر الحديث».

٨٢- «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلاَّ أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاَوَتَهَا».

الحديث لا يصح: أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٦٤) (ح٢٢٣٣٢) من حديث أبي أمامة مرفوعًا وفيه عبيد الله بن زحر رواه عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة به، قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/٦٢): «إذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبد الرحمن لا يكون متن هذا الخبر إلا مما عملت أيديهم».

قلت: وهو من سلسلة أوهى أسانيد الشاميين كذا في «التدريب» (١/١٨١).

٨٣- «حُبُّ قُرَيْشٍ إِيمَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ، وَحُبُّ الْعَرَبِ إِيمَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/٢٥٧) (ح٢٥٥٨) عن أنس مرفوعًا رواه عنه ثابت، وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن ثابت إلا الهيثم». اهـ.

قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٦٠٩): «هيثم بن جمار متروك».

٨٤- «حُبُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَأْكُلُ السَّيِّئَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٨٨٥/١٩٤/٤) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وقال الخطيب: الحديث باطل مركب على هذا الإسناد. اهـ.

وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥٨٩/١٩٧/١) ثم بيّن آفة هذا الحديث، فقال: «محمد بن سلمة ضعيف، والراوي عنه أحمد بن شبويه هذا مجهول، فالآفة من أحدهما».

٨٥- «لَمُبَارَزَةُ عَلِيٍّ لعَمْرو بن عبد ود يَوْمَ الخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِن أعمالِ أُمتي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢/٣) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا، وعلته أحمد بن عيسى الخشاب التنيسي، قال ابن طاهر: كذاب يضع الحديث كذا في «الميزان» (١٢٦/١).

وقال الذهبي في «التلخيص»: «قبّح الله رافضيًا افتراه»، وأخرجه الخطيب في «التاريخ» (١٩/١٣) من طريق إسحاق بن بشر القرشي عن بهز به وهو الكاهلي الكوفي الكذاب.

٨٦- «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل».

الحديث لا أصل له: أورده السخاوي في المقاصد (ح٧٠٢)، وقال: «قال شيخنا - يعني ابن حجر - ومن قبله الدميري والزركشي: إنه لا أصل له، وزاد بعضهم: ولا يُعرف في كتاب معتبر». اهـ.

٨٧- «عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ».

الحديث لا أصل له في المرفوع: أورده السمهودي في «الموضوعات المشهورات» (ح١٦٨).

ثم قال: «قال الحافظان العراقي، وتلميذه ابن حجر: لا أصل له».

٨٨- «لَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلاَّ مَا عَقَلَ مِنْهَا».

الحديث لا أصل له مرفوعًا، أورده الغزالي في «الإحياء»، وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (ح٤٤٤): «لم أجده مرفوعًا».

٨٩- «الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه القضاعي في «الشهاب» (ح١٢٨)، والديلمي في «الفردوس» (٦٨٣٠) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وفيه سليمان بن عمرو النخعي أبو داود الكوفي، قال يحيى بن معين في رواية أبي خالد الدقاق (٢١٨): «أبو داود النخعي رجل سوء كذاب يضع الأحاديث»، وأورد له الذهبي في «الميزان» (٣٤٩٥/٢١٦/٢) هذا الحديث، وقال: كذاب.

٩٠- «الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، والحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ».

الحديث لا أصل له: أورده السيوطي في «الدرر» (ح٣٧١) وقال: «لا أصل له» إنما هو من كلام بعض الأطباء، وأورده ابن القيم في «زاد المعاد» (١٠٤/٤) وقال: هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، ولا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قاله غير واحد من أئمة الحديث. اهـ.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فقد سبق الحديث عن مفهوم الغيبة وحكمها وأدلة تحريمها، يأتي بعد ذلك الحديث عن:

من الآداب الإسلامية

مفهوم الغيبة وحكمها وأدلة تحريمها

الحلقة الثانية

إعداد/ د. سعيد عامر
أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

ما تكون به الغيبة:

علمنا أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه ولو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه، أو خُلقه أو خَلْقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنَياه، حتى في ثوبه وداره ودابته... إلخ.

ولذلك التعريض به كالتصريح، والفعل فيه كالقول، والإشارة والإيماء، والغمز والهمز، والكتابة والحركة، وكل ما يُفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وحرام، وعليه تكون الغيبة بـ:

١- القول:

قال الغزالي: الذكر باللسان إنما حَرُم؛ لأن فيه تفهيم الغير نقصانَ أخيك وتعريفَه بما يكرهه، فتكون الغيبة باللسان سواء بالتصريح أو التعريض.

ومن الناس من يغتاب الآخرين بحجة التقويم والإصلاح، وهؤلاء ينبغي لهم قبل أن يتكلموا في أعراض الناس أن يتدبروا عدة أمور:

أولاً: يسأل نفسه، ما الدافع الحقيقي لكلامه في غيره؟

هل هو الإخلاص والنصح لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين؟ أم هو هوى خفي أو جلي؟ أم هو حسد وكراهية له؟

فإنه كثيرًا ما يقع الأشخاص في الغيبة ونظن أن دافعه هو النصح وإرادة الخير، وهذا مزلق نفسي دقيق قد لا ينتبه له كثير من الناس إلا بعد تفكر عميق وبإخلاص وتجرد لله تعالى.

ثانيًا: ينظر في هذا الدافع الذي دفعه للكلام في أخيه المسلم، هل هو من الحالات التي تجوز فيها الغيبة أم لا؟ وسبق الحديث عنها في المقال السابق.

ثالثًا: أن يتأمل كثيرًا قبل أن يقدم على الكلام في الآخرين، فالمؤمن يعقل أولاً ثم يتكلم، يجعل لسانه وراء عقله وليس العكس أي إن كان في الكلام خير تكلم، وإن كان فيه شر سكت

وصمت، ويتذكر وقوفه أمام الله، وما هو جوابه عند الله تعالى يوم القيامة إذا سأله: يا عبدي فلان، لِمَ قلت في فلان كذا وكذا؟! وليتذكر أن الله تعالى يقول: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) [البقرة: ٢٣٥].

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: أعراض الناس حفرة من حفر النار، وقف عليها المحدثون والحكام.

ومن الغيبة كذلك قولك: فعل كذا بعض الناس، أو بعض الفقهاء، أو بعض من يدَّعي العلم، أو بعض المفتين، أو بعض من يُنسب إلى الصلاح، أو يدَّعي الزهد، أو بعض من مرَّ بنا اليوم، أو بعض من رأيناه، أو نحو ذلك، إذا كان المخاطَبُ يفهمه بعينه لحصول التفهيم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فمن الناس من يغتاب موافقةً لجلسائه وأصحابه وعشائره، مع علمه أن المغتاب بريء مما يقولون، أو فيه بعض ما يقولون، لكن يرى أنه لو أنكر عليهم قطع المجلس، واستثقله أهل المجلس ونفروا عنه، فيرى موافقتهم من حسن المعاشرة وطيب الصحبة، وقد يغضبون فيغضب لغضبهم، فيخوض معهم.

ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة، فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة والحسد، وإذا أثني على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح، أو في قالب حسد وفجور وقدح، ليسقط ذلك عنه.

٢- المحاكاة:

كما تكون الغيبة بالقول، تكون بغيره كالمحاكاة، قال الإمام الغزالي: الذكر باللسان إنما حَرُم لأن فيه تفهيم الغير نقصانَ أخيك وتعريفه بما يكرهه، فالتعريض به كالتصريح، والفعل فيه كالقول، والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة، وكل ما يُفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام.

فلو أشار الإنسان بيده وبعينه، أو يده أو رأسه، بل كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة.

بأن يمشي متعارجًا أو مطأطئًا أو غير ذلك من الهيئات والصور، مريدًا حكاية هيئة من ينتقصه بذلك، فكل ذلك حرام بلا خلاف، ومن ذلك كذلك البرامج في الفضائيات التي يكون فيها المحاكاة مع إرادة نقصان الغير، وتمثيل الهيئة وغير ذلك كثير في الفضائيات فهو حرام، نسأل الله الهداية للجميع.

ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تمسخر ولعب ليُضحك غيره باستهزائه ومحاكاته واستصغار المستهزأ به.

٣- القلب:

تكون الغيبة بالقلب بسوء الظن، وقد عد الإمام ابن حجر سوء الظن من الكبائر الباطنة، وذكر أنها الكبيرة الحادية والثلاثون، وقال: وهذه الكبائر مما يجب على المكلف معرفتها ليعالج زوالها؛ لأن من كان في قلبه مرض منها لم يلقَ الله - والعياذ بالله - بقلب سليم، وهذه الكبائر يُذَمّ العبد عليها أعظم مما يذم على الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها من كبائر البدن؛ وذلك لعظم مفسدتها وسوء أثرها ودوامه، فإن آثار هذه الكبائر ونحوها تدوم بحيث تصير حالاً وهيئة راسخة في القلب بخلاف آثار معاصي الجوارح فإنها سريعة الزوال، تزول بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ونقل عن ابن النجار قوله: من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه، إن الله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات: ١٢]. (راجع كتاب الزواجر).

وسوء الظن مثل سوء القول: فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير،

ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء، روى البخاري والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذبُ الحديث».

وأسرار القلب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءً إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكن إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته، وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الحجرات: ٦]، فلا يجوز تصديق الشياطين من بني آدم، وهم الذين لا يهدأ لهم بال إلا بإشاعة الفتنة في صفوف الموحدين.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم آفتين من آفات سوء الظن ألا وهما الفرقة والقطيعة، والتنافس في حُطام الدنيا، والإسلام يدعونا جميعًا إلى الحب في الله والبغض في الله، وأن تكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، ويحثنا الإسلام على التنافس والمسارعة في أعمال الخير التي توصلنا إلى سعادة الدارين.

مستمع الغيبة والمغتاب هما في الإثم سواء:

اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرُها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها.

فيجب على من سمع إنسانًا يبتدئ بغيبة محرمة أن ينهاه إن لم يخف ضررًا ظاهرًا، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه، ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته.

فإن قدر على الإنكار بلسانه، أو على قطع الغيبة بكلام آخر لزمه ذلك، فإن لم يفعل عصى.

فإن قال بلسانه: اسكت، وهو يشتهي بقلبه استمراره، فقال الغزالي: ذلك نفاق لا يخرجه عن الإثم، ولا بد من كراهته بقلبه.

وإذا اضطر إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة، وعجز عن الإنكار، أو أنكر فلم يُقبل منه، ولم يمكنه المفارقة بطريق، حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة، بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه، أو يفكر في أمر آخر ليشتغل عن استماعها، ولا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغاء في هذه الحالة المذكورة.

فإن تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرون في الغيبة ونحوها، وجب عليه المفارقة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

روى ابن أبي الدنيا عن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان أنه قال لمولى له: نَزِّه سمعك عن استماع الخنا، كما تنزه لسانك عن القول به، فإن المستمع شريكُ القائل، وقد نهت الشريعة عن الاستماع والركون إلى المغتاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

كفارة الغيبة:

للغيبة كفارتان؛ وذلك لأن المغتاب قد جنى جنايتين:

إحداهما: حق الله تعالى، إذ ارتكب معصية، وكفارة ذلك التوبة والندم.

الثانية: على عرض المخلوق، فإن كانت الغيبة قد بلغت الرجل، جاء إليه فاستحله، وأظهر له الندم على فعله، وإن كانت الغيبة لم تبلغه، جعل مكان استحلاله الاستغفار له، والثناء عليه بما فيه من خير أمام من اغتابه أمامهم لإصلاح قلوبهم؛ لحديث أنس عند ابن أبي الدنيا: «كفارة من اغتبت أن تستغفر له».

نسأل الله أن يطهر ألسنتنا من الغيبة، وأن يستر أعراضنا وأعراض المسلمين.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



حماية جناب التوحيد

التحذير من خطورة الرياء

الحلقة الثالثة

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

لقد دأبت جماعة أنصار السنة المحمدية وحرصت منذ نشأتها الأولى على يد رعيلها الأول، وعبر تاريخها الطويل، على دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى؛ الذي هو أصل الدين وأساسه، وتحذيرهم من الشرك وأخطاره وأضراره على سلامة المعتقد، ويأتي هذا المقال تأكيدًا لهذا الدور البنَّاء، وحراسة لجناب التوحيد، وذلك بالتحذير من الرياء وخطره على أعمال العباد، فنقول مستعينين بالله تعالى:

أولاً: تعريف الرياء:

الرياء في اللغة: مشتق من الرؤية، وهي: النظر، يقال: رائيته، مراءاة ورياء إذا أريته على خلاف ما أنا عليه.

وفي الاصطلاح: أن يُظهر الإنسان العمل الصالح للآخرين أو يُحسِّنه عندهم، أو يظهر عندهم بمظهر مندوب إليه ليمدحوه ويعظم في أنفسهم. [قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام].

- نصوص القرآن والسنة تحذر من الرياء:

تضافرت نصوص الكتاب والسنة لتحذر المسلم من أن يقصد بالعبادة غير الله؛ لأن ذلك من كبائر الذنوب، وعدته الشريعة شركًا؛ ويتنافى مع حقيقة الإخلاص؛ ولأن المرائي جعل العبادات وسيلة لتحصيل أهدافه ورغباته، وهذا سلوك مشين فلم تشرع العبادات لذلك.

القرآن يحذِّر المرائين ويتوعدهم:

١- قال الله تعالى: «فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» [الماعون: ٤- ٧]. فقد تهدد الله وتوعد هذا الصنف من الناس المرائي بصلاته بالويل والهلاك.

٢- قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [البقرة: ٢٦٤]، فالرياء يبطل الصدقة، ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين.

٣- قال تعالى «مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [هود: ١٥- ١٦].

فالآية كما يقول القرطبي عامة في كل من ينوي بعمله غير الله، كان معه أصل إيمانه أو لم يكن، وهذا قول مجاهد وغيره من المفسرين.

٤- قال تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠]، قال ابن القيم: أي: كما أن الله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تَفَرَّدَ بالإلهية يجب أن يُفرد بالعبودية، فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة. [الجواب الكافي، ص٢٣٤].

الأدلة من السنة

وقد وردت أدلة كثيرة من السنة تدل على تحريم الرياء، وأنه يُبطل العمل الذي يصاحبه، منها:

١- ما رواه الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه مرفوعًا: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، هل تجدون عندهم جزاءً». [صحيح الجامع ١٥٥٥].

٢- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» رواه مسلم في صحيحه.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». [رواه مسلم ٢٩٨٥].

٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الدجال فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل». [رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب].

وحديث أبي هريرة في خبر الثلاثة الذين هم أول من تسعَّر بهم النار يوم القيامة، وهم: رجل قاتل في الجهاد حتى قُتل، ليقال: جريء، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ليُقال: عالم وقارئ، ورجل تصدق ليُقال: جواد. [رواه مسلم].

حكم الرياء

الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الشرك الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر فقال: هو مثل يسير الرياء، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر.

حكم العبادة إذا خالطها الرياء:

أولاً: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل، كمن قام يصلي من أجل الناس ولم يقصد وجه الله، فهذا شرك، والعبادة باطلة.

ثانيًا: أن يكون الرياء طارئًا على العبادة في أثنائها، يعني أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله، ثم طرأ الرياء أثناء العبادة، وهذا الوجه له أحوال:

أ- فإذا كانت العبادة لا ينبني آخرها على أولها، فأولها صحيح على كل حال، والباطل آخرها.

مثال ذلك: رجل معه مائة جنيه، وقد أعدها للصدقة فتصدق بخمسين منها مخلصًا، وتصدق بالباقي رياءً. فالعمل الأول صحيح، والثاني باطل.

ب- أما إذا كانت العبادة ينبني آخرها على أولها، فهي على حالين:

١- أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه، بل يعرض عنه ويكرهه، فإنه لا يؤثر عليه شيئًا؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم» [رواه البخاري: ٦٤٩٩].

مثال ذلك: رجل قام يصلي ركعتين مخلصًا لله، وفي الركعة الثانية شعر بالرياء فدافعه، فذلك لا يضره ولا يؤثر على صلاته.

٢- أن يطمئن إلى هذا الرياء، ولا يدافعه، فحينئذ تبطل جميع العبادة؛ لأن آخرها مبنيّ علي أولها.

ثالثًا: ما يطرأ بعد انتهاء العبادة، فإنه لا يؤثر عليها، إلا إذا كان فيه عدوان على الغير كالمنِّ والأذى بالصدقة، فإن إثم العدوان يكون مقابلاً لأجر الصدقة فيبطلها؛ لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى» [البقرة:

٢٦٤]. (القول المفيد لابن عثيمين: ص١٩٦).

صور من الرياء

١- المراءاة بالعمل: كالمراءاة للمصلي، وذلك بطول الركوع والسجود، والمراءاة بالصوم وبالغزو أو بطول الصمت، وبذل المال، والمراءاة بصحبة العلماء أو العبّاد ليقال أنه صاحبهم، فيعظم بذلك في نظر الناس، وكذلك المراءاة ببر الوالدين ليقال بارّ، والمراءاة بإكرام الضيوف والصدقة على الفقراء ليقال جواد كريم.

٢- المراءاة بالقول: كالمراءاة بإقامة الحجة عند المجادلة ليقال قوى الحجة، وسرد الأدلة إظهارًا لغزارة العلم ليقال: عالم، وكتحريك الشفاه أمام الناس رياء ليقال ذاكر، وتحسين القارئ صوته بالقراءة ليقال قارئ حسن الصوت، وهذا من السمعة المحرمة، وقد صح عن جندب مرفوعًا «من يرائي يراء الله به، ومن يسمع يسمع الله به» [البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧)]، والمعنى أن الله يفضحه يوم القيامة بإظهار قصده السيئ.

٣- المراءاة بالهيئة والزي، كتقصير الثياب والظهور بمظهر الزهاد من أجل أن يُمدح بذلك لا من أجل إظهار السنة والدعوة إليها.

هذا وهناك بعض الصور أدخلها بعض أهل العلم في الرياء والأقرب أنها لا تدخل فيه، ومنها:

١- ترك العبادات من النوافل أمام الناس خوفًا من الرياء، فقد عمّم بعض العلماء الحكم في هذا، والأقرب في ذلك هو التفصيل: فمن علم من نفسه أنه سيقع في الرياء إن أدى هذه العبادة أمام الناس ينبغي له ألا يفعلها أمامهم، بل إنه قد ورد الندب إلى فعل النوافل في البيوت، وورد الندب إلى الإسرار بالصدقة، فهذا أولى. [وينظر: تفسير القرطبي للآية ٢٧١ من البقرة، الإحياء ٣/٣٣٩- ٣٤٧، الزواجر ١/٤٨، ٤٩].

٢- ترك المعصية خوفًا من ذمّ الناس، فإن الأقرب أن هذا ليس من الرياء؛ لأن المسلم مأمور بالستر على نفسه، ومأمور بأن يبتعد عما يسيء إلى عرضه، ومأمور بإبعاد قالة السوء عن نفسه، وترك المعصية وإخفاؤها خوفًا من الذم داخل في هذا.

٣- الفرح بعلم الناس بعمله بعد أدائه للعبادة، قال في مختصر منهاج القاصدين (ص٢٨٣): «فإن ورد عليه بعد الفراغ من العبادة سرور الظهور من غير إظهار منه، فهذا لا يُحبط العمل؛ لأنه قد تم على نعت الإخلاص، فلا ينعطف ما طرأ عليه بعده».

وقال الشيخ بن عثيمين في القول المفيد (٢/٢٢٨): «وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة». انتهى. بل من عاجل بشرى المؤمن كما ورد بالحديث.

بل هذا من عاجل بشرى المؤمن كما ورد في الحديث، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» [صحيح مسلم ٢٦٤٢].

هل يُشرع تحصيل المنافع الدنيوية مع العبادة؟

من أراد بالعبادة وجه الله والدنيا معًا كمن يحج لوجه الله وللتجارة، وكمن يقاتل في سبيل الله وللغنيمة، وكمن يصوم لوجه الله وللعلاج، وكمن يتوضأ للصلاة وللتبرد، وكمن يطلب العلم لله وللوظيفة، فهذا على الصحيح أنه مباح؛ لأن الوعيد إنما ورد في حق من طلب بالعبادة الدنيا وحدها، ولأن الله عز وجل رتّب على كثير من العبادات منافع دنيوية عاجلة، كما في قوله تعالى عن الحج لله عز وجل: «لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ» [الحج: ٢٨].

وقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) [سورة البقرة آية ١٩٨]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: « كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الإِسْلامُ تَأَثَّمُوا مِنَ التِّجَارَةِ فِيهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ سورة البقرة آية ١٩٨ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ ح ٤٥١٩.

وكما في قوله تعالى: «فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا» [نوح: ١٠- ١٢].

وحديث أبي سعيد في قصة رقية اللديغ، فهو صريح في جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن.

وقد ذكر القرافي في الفروق (ص١٢٢) أن من

جاهد ليحصل طاعة الله بالجهاد، ويحصل المال من الغنيمة فإن ذلك لا يضره، ولا يحرم عليه بالإجماع.

فهذه النصوص من القرآن والسنة وكلام أهل العلم تدل على جواز إرادة وجه الله وهذه المنافع الدنيوية.

تنبيه:

لكن أجر هذه العبادة ينقص منه بقدر ما خالط نيته الصالحة من إرادة الدنيا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من غازية تغزو في سبيل الله، فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، فإن لم يصيبوا غنيمة، تم لهم أجرهم»[سنن أبي داود: ٢٤٩٧، وصحيح الجامع ح٥٧٤٦].

فهؤلاء بنص الحديث خرجوا بنية خالصة غازون في سبيل الله، وأخبر بأن الذين نالوا شيئًا من الغنيمة ينقص أجرهم وثوابهم، ولا يبطل مطلقًا، وذلك أن ما نالوه من الغنيمة يعد ثوابًا دنيويًا عاجلاً يؤيد ذلك ما جاء في صحيح مسلم (ح٩٤٠) عن خباب قال: «هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى أو ذهب ولم يأكل من أجره شيئًا كان منهم مصعب بن عمير.... ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها» يعني يجنيها ويقطفها.

علاج الرياء وسبل الخلاص منه

١- الحرص على تقوية الإيمان في القلب ليعظم رجاء العبد بربه، فيتوكل عليه، ويعرض عمن سواه، فالإيمان عصمة للعبد من وساوس الشيطان وشهوات النفس.

٢- التضرع واللجوء إلى الله تعالى ودعاؤه بأن يرزقه الإخلاص في كل عمل مهما كان شأنه، وأن يكثر من الأذكار النبوية، فهي الحصن الحصين، وفيها مرضاة الرحمن وهي مطردة للشيطان. ففي الحديث عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا بكر! للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل. فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قال: قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم» [البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) وصححه الألباني].

٣- النظر فيما ينتظر المرائي من عقوبات أخروية، ومن أفظعها أنه أول من يُسعّر به النار يوم القيامة.

٤- التدبر والتفكر في مآل المرائي في الآخرة، والثمن البخس الذي يحرص عليه، والذي يدل على ضيق أفقه؛ حيث يضيع ثواب عمله الذي هو سبب لفوزه بجنات النعيم، ونجاته من عذاب الجحيم، وذلك من أجل مدح الناس، وتحصيل منزلة عند المخلوقين.

تحذير:

وفي الختام نلفت الأنظار إلى مسألة مهمة تتعلق بهذا الباب، وهي أنه لا يجوز لمسلم أن يرمي أخاه بالرياء، فإن الرياء من أعمال القلوب، ولا يعلمه إلا علام الغيوب؛ لأن اتهام الناس بالرياء من صفات المنافقين: « ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [سورة التوبة: ٧٩].

وسبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري ومسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: «لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان آخر بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء».

ومعنى نتحامل: نحمل على ظهورنا للناس بالأجرة من أجل أن نتصدق بها؛ لأنه ليس عندهم شيء يتصدقون به.

فالأصل في المسلم السلامة، وأنه إنما أراد بعمله وجه الله، وأيضًا فإنه مندوب له في بعض المواضع أن يُظهر عمله للناس إذا أمن على نفسه من الرياء، وأراد أن يقتدي به الآخرون في الخير، وأن يحذو الناس حذوه في أعمال البر والإحسان.

رزقنا الله وإياكم الإخلاص في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

الفساد .. آثاره وكيفية مكافحته

إعداد/ الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله سبحانه فاتقوه سبحانه واطيعوه واستعينوا بربكم على تصريف الأمور.

الرّقابة مسؤوليّة يتحمّلها الفرد كما تتحمّلها الجماعة:

أيها المسلمون: حين يكونُ المُسلمُ الصالحُ في موقع المسؤوليَّة فهو الحارسُ الأمينُ -بإذن الله- لمصالح البلاد والعباد، يحفظُ الحقَّ، وينشُر العدل، ويُخلِصُ في العمل، ويُحافظُ على مُكتسَبات الأمة. صاحبُ المسؤولية المُخلِصُ صالحٌ في نفسه مُصلِحٌ لغيره، يأمرُ بالصلاح، وينهى عن الفساد.

والإسلام قد جعلَ من الرَّقابة مسؤوليَّةً يتحمَّلُها الفردُ كما تتحمَّلُها الجماعة، وهذا هو الاحتسابُ في بابِه الواسِع، فالاحتسابُ بسَعته وشمُوله رَقابةٌ ومُراقَبةٌ يحمِي الفردَ والمُجتمعَ والمُنشآت والدولة، يحميها -بإذن الله- من الفساد والإفساد: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم مُنكرًا فليُغيِّرهُ بيدِه، فإن لم يستطِع فبلِسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان» رواه مسلم.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]، وفي الحديث: «إن اللهَ لا يُعذِّبُ العامَّةَ بعملِ الخاصَّة، حتى يرَوا المُنكرَ بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن يُنكروه فلا يُنكِرونه، فإذا فعلوا ذلك عذَّبَ الله الخاصَّة والعامَّةَ» رواه ابن المبارك في الزهد.

الاحتساب عمل رقابي توجيهي إرشادي:

معاشر المسلمين: وظيفةُ الاحتِساب وظيفةٌ رقابيَّة في ميادين الأخلاق والدين والسياسة والاجتماع، والإدارة والاقتصاد، وغيرها.

وقد قال أهلُ العلم: «إن الاحتِساب هو الأمرُ بالمعروف إذا ظهرَ تركُه، والنهيُ عن المُنكَر إذا ظهر فعله؛ تحقيقًا للعدل، ونشرًا للفضيلة، ومُكافحةً للفساد والرَّذيلة، وحمايةً للنَّزاهة والصلاح».

معاشر الإخوة: الاحتسابُ عملٌ رقابيٌّ توجيهيٌّ إرشاديٌّ لكل نشاط مُجتمعيٍّ عامٍّ أو خاصٍّ؛ لتثبيت أصول الدين وأحكام الشرع، ومعايير الأخلاق، ورفع كفاءة الأداء كفاءةً وأداءً يتحقَّقُ به السلوك الرشيد، وتُعظَّمُ به المصلحةُ الفردية والاجتماعيَّة في الدنيا والآخرة.

إن العاملَ الصالحَ، والمُوظَّف الصالحَ، والمُواطنَ الصالحَ بإيمانه بربِّه وبوازع من دينه يجتهدُ في أداء عمله، ويحرِصُ على منعِ المُمارسات الخاطِئة، أو يكشفُ عنها لمن يستطيعُ منعَها.

العاملُ الصالحُ عنده من الصدق في دينه، والأمانة في عمله، والولاء لمُجتمعه، والحِرص على المصلحة العامَّة ما يدفعُه إلى الإحسان وإلى الجدِّ وحُسن الإنتاج، وعدم الرِّضا بالفساد والانحِراف.

الفساد سلوك منحرف في الأفراد والفئات:

ذلكم -معاشرِ الأحبَّة- أن الفسادَ بكل أنواعه سلوكٌ مُنحرفٌ في الأفراد وفي الفئات، يرتكِبُ صاحبُه مُخالَفاتٍ من أجل أن يُحقِّقَ أطماعًا ماليَّةً غير شرعيَّة، أو مراتِبَ وظيفيَّةً غيرَ مُستحقَّة؛ ما يُؤدِّي إلى الكسبِ الحرام، وإضعافِ كفاءة الأجهزة والمؤسَّسات والمُنشآت.

الفسادُ منهجٌ مُنحرفٌ مُتلوِّنٌ مُتفلِّتٌ مُتستِّرٌ، مُحاطٌ

بالسريَّة والخوف، يدخلُ في كل مجالٍ: في الدين، وفي السياسة، وفي الاقتصاد، وفي الاجتماع، وفي الثقافة، وفي الإدارة.

الفسادُ تواطؤٌ وابتزازٌ، وتسهيلٌ لارتكاب المُخالفات الممنوعة والممارسات الخاطئة. الفسادُ استغلالٌ مقيتٌ للإمكانات الشخصيَّة والرسميَّة والاجتماعية، يستهدفُ تحقيقَ منافع غير شرعيَّة، ومكاسب مُحرَّمة لنفسه ولمن حوله. سوءُ استغلال للسُّلطة والصلاحيَّة، في مُخالفة للأحكام الشرعيَّة، والقيَم الأخلاقيَّة، والأنظمَة المرعيَّة.

الفسادُ داءٌ مُمتدٌّ لا تحُدُّه حدودٌ، ولا تمنعُه فواصلُ، يطالُ المُجتمعات كلَّها مُتقدِّمها ومُتخلِّفها بدرجاتٍ مُتفاوتة، وفي التنزيل العزيز: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[الروم: ٤١].

كل انحراف بالوظائف عن مسارها فهو فساد:

معاشر المسلمين: وكل انحراف بالوظيفة العامَّة أو الخاصَّة عن مسارها الذي وُضِعَت له ووُجِدت لخدمته فهو فسادٌ وجريمةٌ وخيانةٌ، بالفساد تضطربُ الأولويات في برامج الدولة، وفي برامج الدول ومشاريعها، وتُبدَّدُ مواردُها، وتستنزَفُ مصادرُها.

مضار الفساد على الفرد والمجتمع:

بالفساد تتدنَّى مُستوى الخدمات العامَّة، وتتعثَّرُ مشاريع، ويسُوءُ التنفيذ، وتضعُفُ الإنتاجيَّة، تُهدَرُ مصالحُ الناس، ويضعُفُ الاهتمامُ بالعمل وقيمة الوقت، ويضطربُ تطبيقُ الأنظمة وعدالةُ المعايير.

الفساد يُؤدِّي إلى التغاضي عن المخاطر التي تلحَقُ الناسَ في مآكلهم وفي مشاربهم وفي مرافقهم الصحيَّة والتعليمية، وفي طُرقهم، وفي أنظِمة الأمان والحصول على الخدمات العامَّة.

الفسادُ يُزعزعُ القِيَم الأخلاقيَّة القائمةَ على الصدق والأمانة والعدل وتكافُؤ الفرص وعدالة التوزيع، وينشُر السلبيَّة، وعدمَ الشعور بالمسؤولية، والنوايا السيئة، وينشُر الشعورَ بالظلم، ما يُؤدِّي إلى حالاتٍ من الاحتقانِ والحقدِ والتوتُّر والإحباط واليأس من الإصلاح.

الفسادُ يجعلُ المصالحَ الشخصيَّة تتحكَّمُ في القرارات، ويضعُفُ الولاءُ الصادقُ للحق وللأمة وللدولة، ويُعزِّزُ العصبيَّةَ المذمومة مذهبيَّةً أو قبَليَّةً أو حزبيَّةً، فهو يُهدِّدُ الترابُط الأخلاقيَّ، وقِيَم المُجتمع الحميدة المُستقرَّة.

الفسادُ يُولِّدُ مُشكلات خطيرةً على استِقرار المُجتمعات وأمنِها وقِيَمها الأخلاقيَّة، وسيادة الأنظمة.

الفسادُ يتواصَلُ مع أشكال الجريمة المُنظَّمة والجرائم الاقتصادية بما فيها ما يُعرَف بـ«غسيل الأموال».

الفسادُ يُعيقُ تطبيقَ الخُطط الصحيحة، والسياسات الإيجابيَّة، كما يُعرقِلُ جهودَ التغيير نحو الأفضل؛ بل إنه يُقوِّضُ الدولَ والمؤسَّسات، ويُبعثِرُ الثروات، وينخَرُ في الإدارات، ويتناسَبُ طردًا مع الانحرافات والمُنكَرات والأمراض المُجتمعيَّة والأخلاقيَّة.

مظاهر الفساد بالمجتمع:

معاشر الأحبَّة: وللفساد مظاهرُ كثيرة، وصورٌ عديدة، ومسالكُ مُتنوِّعة؛ من الاختلاس، والرِّشوة، وسوء استخدام السُّلطة والصلاحيات، وإفشاء أسرار العمل، أو كتمان معلوماتٍ حقُّها أن تكون معلومةً مُعلَنةً؛ سواء في شأنٍ ماليٍّ أو وظيفيٍّ، والتزوير، والعبث بالوثائق والمُستندات والقرارات، وعدم احترام العمل وأوقات الدَّوام حُضورًا أو انصرافًا، وضعف الإنجاز، والتشاغُل أثناء العمل بقراءاتٍ خارجيَّة، أو استقبال من لا علاقةَ لهم بالعمل، والبحث عن أعذارٍ، والتهرُّب من تنفيذِ الأنظمة والتعليمات والتوجيهات، وعدم المُبالاة، والعُزوف عن المُشاركة الفاعلة، والإسراف في استخدام المال العام -ولو كان يسيرًا- في الأثاث والأدواتِ المكتبيَّة، والمُبالَغة في إقامة المُناسَبات، وسُوء توظيف الأموال، وإقامة مشاريع وهميَّة، والعبَث بالمُناقَصات والمُواصَفات، في صُورٍ وأشكالٍ لا تقعُ تحت حصر.

وجوب محاربة الفساد:

أيها المسلمون: إذا كان الأمرُ كذلك؛ فلا بُدَّ من مُحاربة الفساد ومُكافحته، والتِزام الصلاح والإصلاح

والنزاهة والشفافية، وذلك هو المفتاحُ القائدُ -بإذن الله- لأسباب الخير والفلاح، والتوفيق والصلاح، والأمن والطمأنينة، وانتشار العدالة.
ومُحاربةُ الفساد ليست وظيفةً لجهة مُعيَّنة أو فئة خاصَّة؛ بل هي مسؤوليَّةُ الجميع ديانةً وأمانةً وخُلُقًا ومسؤوليَّة.

مقاييس النزاهة:

النزاهةُ والعدالةُ في الإصلاح تحفَظُ هيبةَ الدول وكرامتَها وتُؤكِّدُ التلاحُم بينَها وبين مُواطنيها، وتغرسُ الثِّقةَ في الأجهزة والأنظمة. النزاهةُ تُعطي قياداتِ الدول دفعًا أكبر في مُحاربة الفساد في جميع صُوره وأشكاله؛ إداريًا وماليًا وأخلاقيًا.
مقاييسُ النزاهة هي: الديانة، والصدق، والعدالة، والوضوح والشفافية. في أجواء النَّزاهة تكونُ المُنافَسات النَّزيهة، والتنافُس الشريف على تقديم الأفضل والأجود والأنسَب.

المعينات على الإصلاح:

أيها المسؤولون: ومما يُعينُ على ذلك: تحديدُ مسؤوليَّات المُوظَّف، وإصدارُ الأدلَّة الإرشاديَّة، والتوعيةُ المُنظَّمة، وتبصيرُ الناس بحقوقهم، وتشجيعُهم على المُساعَدة في كشف المُفسِدين.
ومما يُعينُ على ذلك كذلك: إصلاحُ أجهزة الرَّقابة، وتقويتُها، ودعمُها في كفاءاتها، وتبسيطُ أساليب العمل الإداريِّ، وتقويةُ الرَّقابة المُحاسبيَّة الإداريَّة والنظاميَّة والماليَّة، وسنُّ الأنظمة الصارمة في مُواجَهة الفساد، وتطبيقُها بحزم وعدالة وحياديَّة، والبُعدُ عن المُجاملات المُضعِفة، والعناية ببرامج الإصلاح الإداريِّ ومنحُها الأولوية، وتوسيعُ دائرة تكافُؤ الفرص والمُساواة على أساس معايير الجدارة والاستحقاق: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وغرسُ قِيَم الجدِّ في العمل، وحِفظ الوقت، والتواصي بالحقِّ، والتزام الأخلاق؛ من الصِّدق، والأمانة، والإخلاص، وحُسن الظنِّ، بعد الإيمان بالله وصدق التعلُّق به والاعتماد عليه، والاهتمام بالمصلحة العامَّة، والشعور الحق بالمسؤوليَّة، وزرع الثِّقَة من الجميع، مع بثِّ أجواء حرية الرأي والمناقَشة والمُكاشَفة.

إن الخللَ ليس في الأنظمة والقوانين والنُّصوص، ولكنَّه في الإدارات والمُجتمعات والنفوس.

النية في الإصلاح:

أيها المسلمون: في حماية النَّزاهة وأهلِها ومُحارَبة الفساد ومُكافَحة المُفسِدين ليس الهدفُ محصورًا في البحث عن المُذنِبين والفاسدين؛ بل يُضمُّ إلى ذلك ويتوازَى: إيجادُ الوعي الفعَّال بحجم الأضرار الناجمة عن الفساد، وهي أضرارٌ دينيَّةٌ وسياسيَّةٌ وماليَّةٌ وأمنيَّةٌ وثقافيَّةٌ واجتماعيَّةٌ، في برامج إصلاح شاملة، وتعاوُن من الأجهزة كلها العامَّة والخاصَّة، ومُشاركة المُجتمع بكل مُؤسَّساته، وإعطاء الفُرص للاستماع إلى آراء العاملين ومُلاحظاتهم ومُقترحاتهم وشكاواهم ومُناقشاتهم.

دور الإعلام في مقاومة الإفساد:

وفي هذا الباب للإعلام دورُه الفعَّال في نشر الوعي الصحيح، والمعلومات والحقائق، في تثبُّتٍ وتحرٍّ وحياديَّة ووقار، وعدم التسرُّع في توجيه الاتهام للأفراد أو الجهات، مع الثناء على ما يستحقُّ الثَّناء، والإشادة بالصالحين والشُّرفاء، وأصحاب الأداء الحسن والإيجابيَّة في العمل، وهم كثيرٌ في بلاد المسلمين -ولله الحمد-، والحفاظ على العلاقات الطيبة والإيجابيَّة بين زُملاء العمل، والتعاوُن فيما بينهم، وتجنُّب تصيُّد الأخطاء وتتبُّعها، وتغليب حُسن الظنِّ.
ألا فاتقوا الله -رحمكم الله-، وأصلِحوا واعمَلوا صالحًا: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].
هذا؛ وصلُّوا وسلِّموا على الرحمة المُهداة، والنعمة المُسداة: نبيِّكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلك ربُّكم في محكم تنزيله، فقال -وهو الصادقُ في قيله- قولاً كريمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

المؤهلات التي أهّلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية

الحلقة الثانية

إعداد/ د. أحمد فريد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

من مؤهلات النصر في جيل الصحابة رضي الله عنهم:

١- قطع حبال الجاهلية وموالاة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين:

«كان الواحد من الصحابة بمجرد أن يدخل في الإسلام يجتهد كل الاجتهاد أن يقطع حبال الجاهلية، وأن يخلع على باب هذا الدين كل ماضيه، بما فيه من سوءات وظُلمات؛ انطلاقًا من قوله تعالى: (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)[المجادلة: ٢٢].

هذا عبد الله بن عبد الله بن أُبَي بن سلول يبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بأبيه وهو في ظل أطم فيقول: غبَّر علينا ابن أبي كبشة، فيأتي النبيَّ صلى الله وعليه وسلم فيقول: يا رسول الله، والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه. فيرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً:» لا، ولكن برّ أباك، وأحسن صحبته». [سير أعلام النبلاء (١٩٦/١)].

وهذا حنظلة بن أبي عامر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه لما آذى الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين فينهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك. [ذكره الحافظ في « الإصابة»(٣٦٠/١) وقال: «رواه ابن شاهين بإسناد حسن»].

وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى - يوم بدر- قال أبو عزيز: مر بي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شدَّ يدك به، إن أمه ذات متاع؛ لعلها تفديه منك. فقال أبو عزيز: يا أخي! هذه وصاتك بي؟! فقال له مصعب: إنه أخي دونك.

فسألت أمه عن أعلى ما فدى به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف ففدته بها. [باختصار من «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف»(٥٤/٣)].

٢- استهانتهم بزخارف الدنيا وزينتها الجوفاء:

وقد بيَّن الله عز وجل أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخرفها، فقال تعالى: (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) [البقرة:٢١٢].

وقال عز وجل: (وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) [الزخرف: ٣٣-٣٥].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء». [رواه الترمذي

(٢٣٢٠) وقال الألباني: صحيح لغيره، انظر الصحيحة (٩٣٤)].

فعلم الصحابة رضي الله عنهم حقارة الدنيا وزيف زخارفها فاستهانوا بها، فلم تبهرهم الأضواء ولم تشغلهم الشهوات.

أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رضي الله عنه رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم فدخل عليه وقد زيّنوا مجلسه بالنمارق والحرير وأظهر اللالئ الثمينة العظيمة، وقد جلس على سرير من ذهب وعليه تاجه، ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل عليه سلاحه ودرعه وبيضته، فقالو له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقال له: ما جاء بكم؟ فقال: إن الله ابتعثنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. [قصة ربعي بن عامر رواها الطبري في «تاريخه»(٣/٥٢٠)].

٣- حرصهم على الاجتماع والوحدة ونبذ الخلاف:

كان الصحابة رضى الله عنهم من أحرص الناس على أسباب الرفعة والنصر والعزة، ولا شك أن من أسباب النصر والرفعة والعزة: الوحدة والاجتماع، ونبذ الفُرقة والخلاف، قال تعالى: (وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟) [آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى: (وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [الأنفال:٤٦].

أخرج عبد الرزاق في المصنَّف من حديث قتادة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنه صدرًا من خلافته: كانوا يصلون بمكة ومنى ركعتين، ثم إن عثمان صلاها أربعًا، فبلغ ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فاسترجع، ثم قام فصلى أربعًا، فقال له: استرجعت ثم صليت أربعًا؟ قال: الخلاف شر». [رواه أبو داود (١٩٦٠) وصححه الألباني].

ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة، وأموت كما مات أصحابي»، وسأل ابن الكواء عليًا رضي الله عنه عن السنة والبدعة، وعن الجماعة والفُرقة. فقال: « يا ابن الكواء! حفظت المسألة، فافهم الجواب: السنة والله، سنة محمد صلى الله عليه وسلم، والبدعة ما فارقها، والجماعة والله مجامعة أهل الحق، والفُرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا».

٤- مسارعتهم رضي الله عنهم إلى التوبة والإنابة إن بدرت منهم معصية:

قال أبو الحسن الندوي: «وكان هذا الإيمان مدرسة خُلقية وتربية نفسية تُملي على صاحبها الفضائل الخُلقية من صرامة إرادة، وقوة نفس، ومحاسبتها، والإنصاف منها، وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الإخلاص وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية حتى إذا جمحت الثورة البهيمية في حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة حيث لا تراقبه عين ولا تتناوله يد القانون تحول هذا الإيمان نفسًا لوامة عنيفة ووخزًا لاذعًا للضمير وخيالاً مروعًا لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة ويتحملها مطمئنًا مرتاحًا؛ تفاديًا من سخط الله وعقوبة الآخرة». [«ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»(ص:١٣٠-١٣١)].

كما في قصة ماعز رضي الله عنه الذي أقر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه بالزنا، فأمر بإقامة الحد عليه، ثم أتت الغامدية تقر على نفسها كذلك.

وربط أبو لبابة بن عبد المنذر نفسه في سارية من سواري المسجد، لما أحس بأنه قد خان الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت براءته.

وكذا الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر، فاعترفوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما تعللوا بالأباطيل والكذب كما فعل المنافقون، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاطعتهم حتى مر عليهم خمسون ليلة، ثم نزلت براءتهم من السماء، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم من أسرع الناس إلى التوبة والإنابة، والاعتراف بالذنب، كما أنهم دائمًا أسرع الناس إلى الخير، فرضي الله عنهم أجمعين، وجمعنا بهم في عليين.

٥- تكافلهم فيما بينهم ومواساتهم لإخوانهم:

كان الصحابة رضي الله عنهم بينهم من التكافل والتناصر والمواساة ما يُضرب به المثل امتثالاً لقول الله تعالى عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وقد مدح الله عز وجل الأنصار الكرام بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩].

نزلت في صحابي آثر ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعامه وطعام أولاده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم، أو يضيّف هذا؟» فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ضحك الله الليلة- أو عجب- من فعالكما» فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩] [رواه البخاري (٣٧٩٨) ومسلم (٢٠٥٤)].

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: «لما قدموا المدينه آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف: إني أكثر الأنصار مالاً فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك.. أين سوقكم؟

فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مهيم»؟ قال: تزوجت. قال: «كم سقت إليها؟» قال: نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب....» شك إبراهيم.

وهذا أبو بكر الصديق يتزوج أسماء بنت عميس ليقوم على أمرها وأمر صغارها بعد مقتل جعفر بن أبي طالب الطيار في سرية مؤتة.

وهذا عبد الرحمن يتزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي هاجرت من مكة وحدها؛ ليقوم عليها فلا تضيع ولا تُفتن.

وهكذا كان هؤلاء الفضلاء من الرعيل الأول نبراسًا في الإيمان والعلم والعمل، نسأل الله أن يرضى عنهم جميعًا وعنا معهم، إنه هو البر الرحيم.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

صفات المؤمنين

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[التوبة: ١١٢].

من معاني اللغة

الفرق بين الأجر والثواب: أن الأجر يكون قبل الفعل المأجور عليه. والشاهد أنك تقول: ما أعمل حتى آخذ أجري، ولا تقول: لا أعمل حتى آخذ ثوابي؛ لأن الثواب لا يكون إلا بعد العمل، على أن الأجر لا يُستحق إلا بعد العمل كالثواب. [الفروق للعسكري].

من فضائل آل البيت

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لحسن «اللهم إني أحبه، فأحبه وأحب من يحبه»

[متفق عليه]

من أقوال السلف

قال أبو حفص الحداد الصوفي: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تَعُدَّه في ديوان الرجال.

وسئل عن البدعة؟ فقال: التعدّي في الأحكام، والتهاون في السنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاتباع والاقتداء.

[ذم الكلام للهروي].

من معاني الأحاديث

(سربه) في حديث النبي صلى الله عليه وسلم «من أصبح آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده طعام يومه، فكأنما حِيزت له الدنيا» يقال فلان آمن في سربه بالكسر: أي في نفسه. وفلان واسع السرب: أي رخي البال. ويروى بالفتح، وهو المسلك والطريق. يقال خلّ سربه: أي طريقه. [غريب الحديث لابن الأثير].

قاعدة شرعية

كُلّ مَنْ عَلِمَ صحيح السنة في مسألة ما ليس له عذر في ترك العمل بها؛ قال الإمام الشافعيُّ: (واتّفقُوا أنه لا يَحِلّ لأحد قد استبانَتْ لهُ سُنّةٌ من سُنَنِ النبي صلى الله عليه وسلم أن يَتْرُكَها لِقَوْلِ أحد كائنًا مَنْ كان.)

إعداد:
علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أسباب دخول الجنة

عن جابر- رضي الله عنه- قال: أتى النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم النّعمانُ بن قوقل، فقال: يا رسول الله! أرأيت إذا صلّيت المكتوبة، وحرّمت الحرام، وأحللت الحلال أأدخل الجنّة؟ فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «نعم» [صحيح مسلم].

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هل ترون قبلتي ها هنا، فو الله ما يخفى عليّ ركوعكم ولا سجودكم، إني لأراكم وراء ظهري» [صحيح البخاري].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن شكل بن حميد قال: قلت: يا رسول الله! علمني دعاء أنتفع به. قال: «قل: اللهم عافني من شر سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، وشر منيي». قال وكيع: «منيي» يعني: الزنا والفجور.
[الأدب المفرد للبخاري، وصححه الألباني]

حكم ومواعظ

عن سفيان بن دينار قال: قلت لأبي بشير -وكان من أصحاب علي-: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: «كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا» قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: «لسلامة صدورهم».
[الزهد لهناد].

من آداب الضيافة

عن يحيى بن ماهان قال: «كانوا يقولون: إن من شرف الضيافة أن يقبل على الضيف بالبشر، والطلاقة، وحسن الكلام، ليبسطه بحسن المحادثة، ويقطعه عن الاحتشام، فيصيب عند ذلك حاجته من الطعام» أي يجعله يأكل بدون حرج.
[الفوائد للخلدي].

من حكمة السلف

عن مغيرة قال: كان رجل على حال حسنة فأحدث حدثًا أو أذنب ذنبًا، فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ إبراهيم حاله، فقال: «مه» أي لا تفعلوا ذلك»، تداركوه وعظوه، ولا تدعوه» [الزهد لهناد].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«من زهد في الدنيا؛ علمه الله تعالى بلا تعلم، وهداه الله بلا هداية، وجعله بصيرًا، وكشف عنه العمى». من الآثار السيئة للحديث عدم الأخذ بالأسباب في طلب العلم.[السلسلة الضعيفة للألباني].

دراسات شرعية



أثر السياق في فهم النص

ضوابط الفروق بين الب

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

لا يزال حديثنا متصلاً حول قواعد البدع، ذكرنا منها سبع قواعد، ونستأنف البحث:

القاعدة الثامنة: البدعة في أصل العبادة تؤدي إلى فساد العبادة كلها، وأمَّا إن كانت في عبادة أصلها مشروع، بطلت البدعة الزائدة فقط، ولم تفسد العبادة:

يقول ابن رجب: «وإن كان قد زاد في العمل المشروع ما ليس بمشروع، فزيادته مردودة عليه، بمعنى أنها لا تكون قُربة ولا يُثاب عليها، ولكن تارة يبطل بها العمل من أصله، فيكون مردودًا، كمن زاد في صلاته ركعة عمدًا مثلاً، وتارة لا يبطله ولا يردُّه من أصله، كمن توضأ أربعًا أربعًا، أو صام الليل مع النهار، وواصل في صيامه». [جامع العلوم والحكم ١/١٧٩].

ومن أمثلة البدع التي تكون في أصل العبادة: «صلاة الرغائب»:

وهي صلاة بكيفية معينة، وتكون في أول ليلة جمعة من شهر رجب، ما بين المغرب والعشاء اثنتا عشرة ركعة بست تسليمات، كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة «القدر» ثلاث مرات «وقل هو الله أحد» اثنتا عشرة مرة، وبعد أن يفرغ من الصلاة يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة، ثم يسجد سجدة ويقول في سجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة، ثم يرفع رأسه ويقول: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلي الأعظم سبعين مرة، ثم يسجد ثانية ويقول مثلما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله وهو ساجد حاجته، فإن الله لا يرد سائله.

قال الإمام النووي في «المجموع»: «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب... وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة، هاتان الصلاتان بدعتان، منكرتان، قبيحتان، ولا يُغتر بذكرهما في كتاب «قوت القلوب» و«إحياء علوم الدين» ولا بالحديث المذكور فيهما، فإن كل ذلك باطل». [المجموع ٤/٥٦].

وقال الحافظ العراقي في تخريج «إحياء علوم الدين»: وهو حديث موضوع. «المغني عن حمل الأسفار» (١/٢٤٠).

وقال الشوكاني: «وقد اتفق الحفاظ على أنها موضوعة». (الفوائد المجموعة للشوكاني ١/٤٨).

فهذه الصلاة استحداث تشريع لم يأت به النبي صلى الله عليه وسلم، فهي باطلة، وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [متفق عليه].

يقول أبو شامة بعد أن ذكر بدعية صلاتي الرغائب في رجب وصلاة النصف من شعبان، أن ذلك يترتب عليه مفاسد:

الأولى: اعتماد العوام على ما جاء في فضلها وتكفيرها (للذنوب)، فيحمل كثيرًا منهم على أمرين عظيمين، أحدهما: التفريط في الفرائض، والثاني: الانهماك في المعاصي، وينتظرون مجيء هذه الليلة ويصلون هذه الصلاة، فيرون ما فعلوه مجزيًا عما تركوه وماحيًا ما ارتكبوه...

المفسدة الثانية: أن فعل البدع مما يغري المبتدعين الواضعين بوضعها والزيادة عليها، إذا رأوا رواج ما اقترفوه ووضعوه وانهماك الناس عليه، ويقع لهم الطمع في إضلال الناس، واستدراجهم من بدعة إلى بدعة، ويتوصل بذلك إلى إهمال الشريعة والانسلاخ منها...

المفسدة الثالثة: أن الرجل العالم المقتدَى به والمرموق بعين الصلاح إذا فعلها، كان موهمًا للعامة أنها من السنن...

وأكثر ما أتى الناس في البدع بهذا السبب، يظن في شخص أنه من أهل العلم والتقوى، وليس هو في نفس الأمر كذلك، فيرمقون أقواله وأفعاله، فيتبعونه في ذلك فتفسد أمورهم، ففي

ـدعـة والمصلحة المرسلة

الحلقة ٤٦

الحديث عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين...». [صحيح سنن الترمذي].

قال الإمام مالك رحمه الله: بكى ربيعة يومًا بكاء شديدًا، فقيل له: أمصيبة نزلت بك؟ قال: لا، ولكن استفتي من لا علم عنده، وظهر في الإسلام أمر عظيم.

المفسدة الرابعة: إن العالم إذا صلى هذه الصلاة المبتدعة كان متسببًا إلى أن تكذب العامة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقول هذه سنة من السنن...

فلا ينبغي للعالم أن يفعل ما يتورط العوام بسبب فعله في اعتقاد أمر على مخالفة الشرع، وقد امتنع جماعة من الصحابة من فعل أشياء مؤكدة خوفًا من ظن العامة خلاف ما هي عليه، قال الإمام الشافعي: وقد بلغنا أن أبا بكر الصديق، وعمر رضي الله عنهما كانا لا يضحيان كراهية أن يُقتدى بهما فيظن من رآهما أنها واجبة.. وزاد أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: كنا نضحي عن النساء وأهلينا، فلما تباهى الناس بذلك تركناها. [الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٥٥- ٥٨ بتصرف].

لا يحتج بالعموم في مواضع الخصوص:

فائدة: يحتج البعض لهذه الصلاة وغيرها من الصلوات المبتدعات، بالعموميات، كقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾[العلق: ٩- ١٠].

وبمثل حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «الصلاة خير موضوع». [الطبراني في الأوسط وهو في صحيح الجامع]

أو كقوله صلى الله عليه وسلم لربيعة بن كعب رضي الله عنه وقد سأله مرافقته في الجنة، فقال له: فأعني على نفسك بكثرة السجود... [صحيح مسلم].

ونحو ذلك من النصوص التي تفيد بإطلاقها وعمومها مشروعية الصلاة بأي عدد وأي كيفية شاءها المصلي.

فيقولون: كيف تكون إذن هذه الصلوات مبتدعة مع دخولها في عموم النصوص المبينة لفضل الصلاة؟

والجواب على ذلك: إنه لا يُحتج بالعموميات في مواضع الخصوص، فالعمل بالعموم يسوغ فيما لم يقيّده الشرع، فإذا خصص الشرع أو قيّد حكمًا فيجب التقيد به، ولا يجوز تعطيله تمسكًا بعموم النص.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي...». [متفق عليه].

فلا بد من تقييد كل النصوص العامة التي وردت في فضل الصلاة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وفعله، فهو حاكم عليها جميعًا.

يقول الشيخ علي محفوظ: «...إن التمسك بالعمومات مع الغفلة عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم بفعله وتركه هو من اتباع المتشابه الذي نهى الله عنه، ولو عوّلنا على العمومات وصرفنا النظر عن البيان لانفتح باب كبير من أبواب البدعة لا يمكن سدّه..» [الإبداع في مضار الابتداع ص٤٢].

مثال للبدع الزائدة التي لا تكون في أصل العبادة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مُرْه فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه. [البخاري].

فهذا الصحابي رضي الله عنه أراد أن يعظّم خطبة النبي صلى الله عليه وسلم، فنذر أمورًا مشروعة، وأمورًا غير مشروعة، فأقرّه النبي صلى الله عليه وسلم على المشروع وهو الصيام فأمره أن يتمّه، ونهاه عن غير المشروع وهو القيام لسماع خطبة الجمعة، والبروز للشمس وعدم الكلام، مع أن القيام في الصلاة ركن من أركانها، ولكنه في هذا الموضع بدعة، والبروز للشمس من غير داع لذلك: كالجهاد في سبيل الله أو الوقوف بعرفة، من المشقة المتكلفة التي لم يتعبدنا الله تعالى بها، والصيام عن الكلام كان في شريعة الأمم السابقة، لكنه نُسخ في شرعنا.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا النذر كان قد تضمن أشياء محبوبة إلى الله عز

وجل، وأشياء غير محبوبة، أما المحبوبة إلى الله فهي الصوم، لأن الصوم عبادة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»، وأما وقوفه قائمًا في الشمس من غير أن يستظل، وكونه لا يتكلم، فهذا غير محبوب إلى الله عز وجل، فلهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرجل أن يترك ما نذر. [شرح رياض الصالحين ٢/٢٣٧].

القاعدة التاسعة: العبادة التي أطلقها الشارع لا يُشرع تقييدها بزمان أو مكان أو صفة أو عدد:

يقول أبو شامة: «ولا ينبغي تخصيص العبادات بأوقات لم يخصصها بها الشرع، بل تكون جميع أفعال البر مرسلة في جميع الأزمان، ليس لبعضها على بعض فضل، إلا ما فضّله الشرع وخصّه بنوع من العبادة....

فالمكلف ليس له منصب التخصيص، بل ذلك إلى الشارع. [الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٥١ بتصرف].

ويقول الشيخ الألباني في ذكر أنواع البدع، ومنها: «كل عبادة أطلقها الشارع وقيّدها الناس ببعض القيود، مثل المكان أو الزمان أو صفة أو عدد». [أحكام الجنائز ص٢٤٢].

مثال ذلك: تخصيص شهر رجب بصيام:

ولم يصح في فضل صيامه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «وأما الصيام فلم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه». [لطائف المعارف ص١١٨].

- ومن ذلك تخصيص ليلة الجمعة بقيام ويومها بصيام:

وقد ورد النهي عن ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم. [مسلم].

يقول الصنعاني: «الحديث دليل على تحريم تخصيص ليلة الجمعة بالعبادة بصلاة وتلاوة غير معتادة». [سبل السلام ١/٥٨٧].

ومن تخصيص المكان: أن يعتكف أحد في مدرسته أو في بيته، فإن اعتكافه لا يصح، لأنه لم يوافق الشرع في مكان الاعتكاف، فالاعتكاف محله المساجد. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

يقول الإمام النووي: «لا يصح الاعتكاف من الرجل ولا من المرأة إلا في المسجد، ولا يصح في مسجد بيت المرأة، ولا مسجد بيت الرجل، وهو المعتزل المهيأ للصلاة». [المجموع ٦/٤٨٠].

ومن مخالفة الصفة (الكيفية): لو عمل شخص عملاً يتعبد به وخالف الشريعة في صفته، لم يقبل منه.

ومثال ذلك: لو أن رجلاً صلى وسجد قبل أن يركع، فصلاته باطلة مردودة؛ لأنها لم توافق الشريعة في الصفة، وكذلك لو توضأ منكسًا فبدأ بالرجل ثم بالرأس ثم اليد ثم الوجه، فوضوؤه باطل، لأنه مخالف للشريعة في الصفة.

ومن مخالفة العدد: لو أن رجلاً توضأ أربع مرات، أي غسل كل عضو أربع مرات، فالرابعة لا تقبل، لأنها زائدة على ما جاءت به الشريعة.

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: «هكذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم». [صحيح سنن النسائي].

القاعدة العاشرة: الاقتصار على جزء معين من عبادة لها صفة شرعية دون الإتيان بكاملها، يعتبر بدعة:

فالعبادة الواردة على صفة معينة في الشرع ينبغي لمن أراد أن يفعلها أن يأتي بها كما وردت في الشرع، فإن لم يأت بها بكمالها، وإنما أتى بجزء منها فقد ابتدع في الدين؛ لأنه يعتبر خلاف ما شرع الله عز وجل.

يقول أبو شامة: «لم ترد الشريعة بالتقرب إلى الله تعالى بسجدة منفردة ولا سبب لها، فإن القُرَب لها أسباب وشرائط وأوقات وأركان لا تصلح بدونها، فكما لا يتقرب إلى الله تعالى بالوقوف بعرفة، ومزدلفة، ورمي الجمار، والسعي بين الصفا والمروة، من غير نسك واقع في وقته بأسبابه وشرائطه، فكذلك لا يتقرب إلى الله تعالى بسجدة منفردة، وإن كانت قربة، إذا لم يكن لها سبب صحيح». [الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٦١].

قلت: في قوله: بسجدة منفردة لا سبب لها: خرج بذلك سجدتا الشكر والتلاوة.

أما سجدة الشكر، فقد ورد في مشروعيتها أحاديث، منها: ما ورد عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه

أمر يسره أو بُشِّر به خرَّ ساجدًا. شكرًا لله تبارك وتعالى. [صحيح سنن ابن ماجه].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن جبريل - عليه السلام- قال للنبي صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك أن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله شكرًا. [مسند أحمد وهو في صحيح الترغيب والترهيب].

وورد عن علي رضي الله عنه أنه سجد حين وجد ذا الثدية في الخوارج. [مسند أحمد وهو في الإرواء].

وكذلك ورد عن كعب بن مالك رضي الله عنه - في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم - أنه سجد لما بُشِّر بتوبة الله عليه. [صحيح سنن ابن ماجه].

وغير ذلك من الأحاديث والآثار.

- ومما ينبغي الإشارة إليه أن سجدة الشكر لا تشرع بشكل دائم بحجة أننا نرفل في نعم الله علينا، كما يسجد بعضهم سجدة شكر بعد كل صلاة.

فالعبادة كما أسلفنا ينبغي أن تكون بالكيفية التي وردت في الشرع، فسجدة الشكر محلها عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة، أما في غير ذلك فلا تشرع؛ لأن نعم الله علينا لا تُحصى ولا تنقطع. (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) [إبراهيم: ٣٤].

وأما سجود التلاوة، ففيها أحاديث؛ منها:

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ «والنجم»، فسجد فيها وسجد من كان معه... [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سجدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في: «إذا السماء انشقت»، و«اقرأ باسم ربك الذي خلق». [مسلم]. وغير ذلك من الأحاديث.

القاعدة الحادية عشرة:إذا جاء عن أحد الصحابة فعل عبادة متكررة بدون نكير، فإن تلك العبادة يُشرع فعلها ولا تعتبر بدعة:

فالصحابة رضي الله عنه أحرص الناس على اتباع السنة واجتناب البدعة، فإذا ورد عن أحد منهم فعل عبادة، فإنها لا تعد من البدع؛ لأن الصحابي لا يأتي بعبادة باجتهاد من عنده، لكن يشترط لاعتبار تلك العبادة مشروعة شرطان ذكرهما الشيخ الألباني، فقال: كل أمر لا يمكن أن يشرع إلا بنص أو توقيف، ولا نص عليه، فهو بدعة، إلا ما كان عن صحابي تكرر ذلك العمل منه دون نكير. [أحكام الجنائز ص٣٠٦].

وقد ذكر الحاكم في «المستدرك» حديث النهي عن الكتابة على القبور، وقال: وليس العمل عليه، فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب مكتوب على قبورهم، وهو عمل أخذ به الخلف عن السلف، فتعقبه الذهبي وقال: ما قلت طائلاً، ولا نعلم صحابيًا فعل ذلك، وإنما هو شيء أحدثه بعض التابعين، فمن بعدهم، ولم يبلغهم النهي. [المستدرك ح١٣٧٠].

ومسألة قول الصحابي وفعله فيما ليس فيه نص، مسألة خلافية بين أهل العلم، فالجمهور قالوا هو حجة بشروط: أن يكون مشتهرًا، ألا يُوجد مخالف له، وألا يخالف نصًا.

فالصحابة زكاهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وشاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم، وعاينوا الوحي وهم أخلص لله نيّة، وأفقه، وأكثر الأمة تقوى.

وقال بعضهم: ليس بحجة، لأنهم ليسوا بمعصومين، ويجري عليهم الخطأ والنسيان.

وفصَّل فريق في المسألة، فقالوا بحجية من نص الشرع على أن قولهم وفعلهم حجة، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ففي الحديث عن حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لا أدري ما بقائي فيكم؟ فاقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر. [صحيح سنن الترمذي].

والخلفاء الراشدون كما بحديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسَّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ». [مسند أحمد وهو في صحيح سنن أبي داود وغيره].

وصحابة عُرفوا بالإمامة في الدين والفقه والعلم، فقولهم حجة، كابن عمر، وابن مسعود، ومعاذ، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وغيرهم، رضوان الله عليهم جميعًا.

وصحابة لم يشتهر عنهم الفقه والعلم كأعرابي دخل المدينة فسمع حكمًا أو حكمين من الرسول صلى الله عليه وسلم، فهل يكون قوله وفعله حجة؟ لا يكون حجة، والله أعلم.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

أحكام الصلاة

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة الثانية

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: وبعد:

الصَّلاةُ كما نعلم هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، والصَّلاةُ إما أن تكون في جماعة، وإما في انفراد.

وسوف يكون الكلام على صفة الصلاة بحسب ترتيب أعمال الصلاة مع بيان أهم الفروق بين المنفرد والمأموم والإمام.

فإذا كانت الصَّلاةُ في جماعةٍ فأحسن ما يكون: أن يتوضَّأ الإنسانُ في بيته، ويُسْبغَ الوُضُوءَ، ثم يخرج من بيته بنيَّة الصَّلاة مع الجماعة. فإذا فَعَلَ ذلك لم يَخْطُ خَطوةً إلا رَفَعَ اللَّهُ له بها درجةً، وحَطَّ عنه بها خطيئةً؛ قَرُبَ بيته أو بَعُدَ.

وينبغي أن يأتي إليها بسكينةٍ ووَقَارٍ، سكينة في الألفاظ والحركة، ووقار في الهيئة؛ لأنه مُقبلٌ على مكانٍ يقفُ فيه بين يدي الله عزَّ وجل. لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصَّلاة؛ وعليكم السَّكينةُ والوَقارُ؛ ولا تسرعوا، فما أدركت فصلوا وما فاتك فأتموا» [البخاري: ٦٣٦]؛ لأن هذا هو حقيقة الأدب مع الله عزَّ وجلَّ.

ثم إذا حضرت المسجدَ فصَلِّ ما تيسَّرَ لك، لقول الرَّسول عليه الصلاة والسلام: «إذا دَخَلَ أحدُكم المسجد فلا يجلس حتى يُصلِّيَ ركعتين» ، ثم اجْلسْ بنيَّة انتظار الصَّلاة، واعلمْ أنك إذا أتيت المسجدَ على هذا الوجه لا تزال في صلاة ما انتظرتَ الصَّلاةَ؛ ثم مع ذلك الملائكةُ تُصلِّي عليك ما دمت في مصلاك، ورَجلٌ تُصلِّي عليه الملائكة حَريٌّ بأن يستجيبَ اللَّهُ سبحانه وتعالى دعاءَ الملائكة له. (الشرح الممتع لابن عثيمين ٣/٨).

وقبل أن نبدأ في الكلام علي صفة الصلاة علينا أن

نعلم أن مصطلحات الأركان والواجبات والسنن. التي سيرد ذكرها في الكلام على حكم أفعال الصلاة هذه المصطلحات ليست ببدع كما يظن بعض من ليس عنده إلمام بالعلم وضبطه، فيظن أن هذه أمور محدثة، فيقول: من أين جاءنا الركن أو الواجب أو السنة؟ فإذا نظرنا في الشرع وجدناه تارةً يقول: إذا فات هذا الشيء بطلت الصلاة، أو: يجب قضاء الركعة، ووجدناه تارةً يبين أن الشيء الذي فات يمكن جبره بالسجود، ووجدناه يُرخص في ترك شيءٍ، فعلمنا أن أعمال الصلاة ثلاثة أشياء: شيءٌ تبطل الصلاة بعدم وجوده، وشيءٌ يمكن جبره بالسجود، وشيءٌ يُتسامح فيه فلو تركه الإنسان ولو متعمداً صحت صلاته. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه صلى ركعتين ثم سلمَ -كما في قصة ذي اليدين- فقال له ذو اليدين : يا رسول الله! أقصرت الصلاة أم نسيت؟ قال: كل ذلك لم يكن. فقال: بلى. قد كان بعض ذلك. فسأل الصحابة: أصدق ذو اليدين ؟ قالوا: نعم. فرجع فصلى ركعتين)؛ وكان قد قام من مصلاه كما في الصحيح، قال الراوي: وأنبئت أن عمران قال: ثم سجد سجدتين وسلم. فدل هذا على أن الأركان لا تُجبر إلا بالفعل ؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتبر السهو موجباً لإسقاط الركن، بل تعتبر الركعة بمثابة الركن في الصلاة الجامع للأركان، فهي أصل في الصلاة، فكما أن الظهر قائمة على أربع ركعات كذلك كل ركعة قائمة على أركانها. ثم وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم تفوته أشياء من أفعال الصلاة ويجبرها بالسجود، فقد صلى عليه الصلاة والسلام إحدى صلاتي العشي، فسجد السجدة الثانية من الركعة الثانية ولم يجلس للتشهد، بل استوى واعتدل قائماً، فلما كبر سبّح له الصحابة ليعود إلى جلسة التشهد، فأشار إليهم بيديه من وراء ظهره أن: قوموا. أي: إني لستُ براجع وقد لَزِمَكم الركن البعدي الذي هو القيام للركعة الثالثة، فقام الصحابة، فأتم بهم الركعتين ثم سجد سجدتين قبل أن يُسلم، فهنا فات شيء من أفعال الصلاة، ولكنه اعتبره مجبوراً بالسهو، فعلمنا أن مرتبة هذه الأفعال دون مرتبة الأفعال التي قبلها. وكذلك أيضاً وجدناه عليه الصلاة والسلام يرى بعض الأقوال في الصلاة لازمة. وبعضها غير لازمة، فقال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)، فلم يعتد بالصلاة ولم يعتبرها عند عدم وجود الفاتحة، ووجدناه يسامح في ترك دعاء الاستفتاح، فقد قال له أبو هريرة : (يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي..). فقد ثبت قطعاً أن الصحابة لم يعلموا ما الذي يقول، فلو كان هذا الدعاء حتماً كالفاتحة لألزمهم به وعلمهم إياه، فدل على أن هناك أموراً تلزم في الصلاة وأموراً لا تلزم، ولذلك قلنا: إن مثل هذا سنة.

فأصبحت القسمة عندنا بتتبع واستقراء الشرع تنقسم إلى هذه الثلاثة الأقسام، فوجدنا ما هو ركنٌ وما هو واجبٌ وما هو سنة. فإنك لو قلتَ: جميع أقوال الصلاة وجميع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لازم لتناقضت النصوص، ولو قلتَ: إن جميع ما قاله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الصلاة ليس بلازم لتناقضت النصوص. فإذاً لا بد من التفريق بين اللازم وغير اللازم، وذلك هو مصطلح العلماء بالأركان والواجبات والسنن.(شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٨٩/٢).

وعلى هذا فاعلم أن أهل العلم قالوا: الركن هو ما لا يسقط عمداً ولا جهلاً ولا سهواً ، وتبطل الصلاة بتركه مطلقاً.

والواجب ما لا يسقط عمداً ويسقط جهلاً وسهواً ، فتبطل الصلاة بتركه عمداً ولا تبطل بتركه جهلاً

> لو قلتَ: جميع أقوال الصلاة وجميع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لازم لتناقضت النصوص، ولو قلتَ: إن جميع ما قاله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الصلاة ليس بلازم لتناقضت النصوص.

أو سهواً ، ويجبر السهو فيه بسجدتين ، والسنن لا تؤثر في صحة الصلاة ، سواء تركها عمداً أو سهواً، ولا توجب سجود السهو.

أولاً: القيام:

القيام ركن في الصلاة لا تصح بدونه بإجماع أهل العلم وكان صلى الله عليه وسلم يقف فيها قائمًا في الفرض والتطوع ائتمارًا بقوله تعالى: (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: ٢٣٨] ولحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (كانت بي بواسير، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (صلِّ قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب) (رواه البخاري) وأمر به النبي صلى الله عليه وسلم المسيئ في صلاته.

وأما في السفر فكان يصلي على راحلته النافلة، وسنّ لأمته أن يصلوا في الخوف الشديد على أقدامهم أو ركباناً كما تقدم، وذلك لقوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٢٣٨] وصلى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته جالسًا (الترمذي وصححه).

ولحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (سألته صلى الله عليه وسلم عن صلاة الرجل وهو قاعد فقال: (من صلى قائمًا فهو أفضل ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائمًا فله نصف أجر القاعد) (رواه البخاري). [صفة الصلاة الألباني ص ٧٨].

ثانيا: تكبيرة الإحرام:

هي التكبيرة الأولى للصلاة وهي افتتاحية الصلاة، وقد سميت بهذا الاسم لأن المسلم إن نطق بها حرَّم عليه ما كان حلالاً عليه قبلها من أعمال وأقوال، وتكبيرة الإحرام تكون حال القيام والقدرة، وهي فرض وركن لا بد من الإتيان بها، ولا تُقبل صلاةٌ بدونها لحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مفتاح الصلاة الطُّهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم» رواه أحمد.

وللتكبير صيغة واحدة لا غيرُ هي [الله أكبر] لا يجوز غيرها مطلقًا؛ لأن ألفاظ الذكر توقيفية؛ يُتوقَّف فيها على ما وَرَدَ به النصُّ، ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث المسيء (إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء مواضعه ثم يقول: الله أكبر» رواه الطبراني، ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث مالك بن الحويرث : (وصلوا كما رأيتموني أصلي) وقد نُقلت هذه الصيغة بالتواتر، فلا مجال للاجتهاد فيها. (الجامع لأحكام الصلاة محمود عبداللطيف عويضة ٢/١٦٩).

ويسمع الإمام من خلفه تكبيرة الإحرام وغيرها من تكبيرات الانتقال حسب ما تقتضيه الحال،وإذا كان لا يسمع صوته مَنْ وراءه استعان بمبلغ يُبلِّغ عنه؛ كما فَعَلَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم حين جاء وأبو بكر رضي الله عنه يُصلي بالناس، وكان صلوات الله وسلامه عليه مريضاً لا يُسْمِعُ صوته المأمومين، فصلَّى أبو بكر رضي الله عنه عن يمينه؛ وجعل يبلِّغ الناسَ تكبيرَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، إذا كَبَّرَ الرَّسولُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بصوت منخفض كَبَّرَ أبو بكر بصوت مرتفع فسمعه الناسُ ، وهذا هو أصل التبليغ وراء الإمام، فإن كان لا حاجة إلى المبلغ بأن كان صوتَ الإمام يبلغ الناسَ مباشرة، أو بواسطة، فلا يُسَنُّ أن يبلغ أحدٌ تكبيرَ الإمام باتفاق المسلمين. (الشرح الممتع لابن عثيمين ٣/٣٢).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

للتكبير صيغة واحدة لا غيرُ هي «الله أكبر» لا يجوز غيرها مطلقًا؛ لأن ألفاظ الذكر توقيفية؛ يُتوقَّفُ فيها على ما وَرَدَ به النصُّ.

مقدمة في فقه النوازل

الحلقة الرابعة

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

اجتهاد الصحابة والتابعين في النوازل:

فما يزال الحديث متصلاً عن فقه النوازل، وقد كان الأصل في الصدر الأول أن ترد المسائل والأحكام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيصدر السائل عن فتياه صلى الله عليه وسلم، وبوفاته صلى الله عليه وسلم كان الرد إلى أصحابه المجتهدين رضي الله عنهم.

ولا شك أن الصحابة هم أولى الأمة بموافقة الحق والهداية إلى الصواب، ومنهم من زكاهم الله ورسوله بأعيانهم، وأشار بالعلم والفقه في دين الله إلى مقامهم؛ ولذا كان العلم بفتاويهم وأقاويلهم ومذاهبهم من أنفع ما يتزود به الفقيه، وبالجملة فإنه كلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب والتوفيق أغلب، فآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا. [إعلام الموقعين، لابن القيم، (١١٨/٤)، (٢٦١/٢)، الموافقات، للشاطبي، (٢٠٢/٣)].

وقد واجهوا رضي الله عنهم نوازل لم يكن لهم بها عهد في حياة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فبذلوا وسعهم واستفرغوا جهدهم في إدراك أحكامها، ومعرفة وجوه الفتيا في مسائلها ونوازلها، وقد مارسوا رضي الله عنهم الاجتهاد جماعيًا وفرديًا في تلك المسائل المستجدة.

من مسائل الاجتهاد الجماعي في النوازل:

فمن مسائل الاجتهاد الجماعي: قتال مانعي الزكاة، واجتماع الناس على رأي أبي بكر وفقهه بعد نقاش وحوار علمي من عمر رضي الله عنه، وبعد مقتل كثير من القراء في حروب الردة شرح الله صدر الصديق لرأي عمر بجمع القرآن؛ فأسند ذلك إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه، وجرى العمل في ذلك استنادًا إلى قاعدة المصالح المرسلة، وهكذا تعددت أمثلة

إعداد/ د. محمد يسري

الاجتهاد، أو الإفتاء الجماعي.

أمثلة للاجتهاد الفردي في النوازل:

ومن أمثلة الاجتهاد الفردي: رأي عمر في إمضاء الطلاق ثلاثًا بلفظ واحد [رواه مسلم (١٤٧٢) من حديث ابن عباس] مع خلاف يُنقل عن بعض الصحابة له في ذلك [«سنن أبي داود» (٢١٩٧) وصححَّ إسنادَه الحافظ ابنُ حجر في «الفتح»، (٣٦٢/٩)]، وكذا قتله الجماعة بالواحد [أخرجه: البخاري (٦٨٩٦)، من حديث ابن عمر.]، وتوريثه المطلقة ثلاثًا في مرض الموت ما دامت في عدتها. [أخرجه: ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١٧/٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩٧/٨) وصححه العيني «عمدة القاري» (٣٣٣/٢٠)].

وهكذا انفرد عمر بآراء، كما انفرد ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما باجتهادات، وشارك الصحابةَ في ذلك كبارُ التابعين؛ كسعيد بن المسيب رحمه الله في المدينة.

ويقول الدهلوي رحمه الله: «كان سعيد بن المسيب لسان فقهاء المدينة، وكان أحفظهم لقضايا عمر، ولحديث أبي هريرة» [حجة الله البالغة، للدهلوي، (٢٤٨/١)]، ومذهب سعيد بن المسيب هو كالأصل لمذهب

الإمام مالك بالمدينة؛ كما كان مذهب إبراهيم النخعي أصل مذهب الحنفية بالعراق، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخذ النخعي وعلقمة وغيرهما [الفكر السامي، للحجوي، (١/٢٩٢)].

يقول ابن القيم رحمه الله: «والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود، وأصحاب زيد بن ثابت، وأصحاب عبد الله بن عمر، وأصحاب عبد الله بن عباس؛ فعلْمُ الناس عامته عن أصحاب هؤلاء الأربعة، فأما أهل المدينة فعلمهم عن أصحاب زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر، وأما أهل مكة فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن عباس، وأما أهل العراق فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن مسعود». [إعلام الموقعين، لابن القيم، (١/٢١)].

وبالجملة فقد تلقى كبار التابعين عن الصحابة، وتحقق هذا الاتصال والتلقي فأخذ اللاحق عن السابق، ووجدت اجتهادات لصغار الصحابة والتابعين في مسائل جدت وحوادث وقعت لم تكن معهودة في الزمن الأول.

وبالجملة فقد اعتبر الشاطبي مصادر الصحابة في الاستنباط راجعة إلى الكتاب والسنة والإجماع والرأي. [الموافقات، للشاطبي، (٣/٢٠٠)].

«وكان الصحابة أيضًا يشرعون أحكامًا لحوادث بناءً على المصلحة الواجب مراعاتها، أو المفسدة الواجب دفعها؛ فكان اجتهادهم فيما لا نص فيه، لاسيما فيما فيه مجال يتسع لحاجات الناس ومصالحهم». [خلاصة التشريع الإسلامي، لعبد الوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، (ص٤٠) بتصرف].

دور المذاهب الفقهية والمدارس العلمية في النوازل:

وبانقراض عصر التابعين ودخول عصر تابعي التابعين وما تلاه من عصور الأئمة الأربعة المجتهدين؛ فقد برزت هذه المذاهب الفقهية والمدارس العلمية، والتي تميزت باجتماع همم الطلبة على نشرها، والعناية بتحريرها وضبط أصولها، وتدوين مسائلها.

وبهذا استقرت مناهج الأئمة الأربعة على أنها طرق للنظر والاستنباط في بحث أحكام النوازل والمستجدات؛ وذلك لاستيعابهم لسائر أساليب المتقدمين مما لا يسع أحدًا جاء بعدهم أن يُحدث طرقًا تختلف كلية عما قرروه من أصول وقواعد. [منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، د. مسفر القحطاني، (ص٢٦٨)].

ومن غير شك فإن المذاهب الأربعة وما دُوِّن فيها من ذخيرة فقهية وثروة علمية تمثل تراثًا ثريًا ومصدرًا غنيًا، لا غنى لباحث في المسائل المعاصرة عنه.

وفي العدد القادم إن شاء الله نعرض بمزيد إيضاح وبيان لتلك الأصول التي ظهر اعتماد الأئمة الأربعة عليها في إدراك الأحكام، وبناء منهج الاستنباط لنوازل المسائل والأقضيات.

والحمد لله رب العالمين.

صور من الإفساد في الأرض

إعداد / أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن الإفساد في الأرض من أقبح الذنوب وأكبر المعاصي التي حذرنا الله منها، وذم أهلها وتوعدهم بشديد العقاب، قال سبحانه: «إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [المائدة: ٣٣].

فما هو الإفساد في الأرض؟ وما هي صوره ومظاهره؟ وما الحكمة من تحريمه؟

هذا ما نوضحه في هذا المقال لأهميته في ذلك الوقت الذي انطلق فيه المفسدون من كل حدب وصوب يمارسون إفسادهم في أرض الكنانة وأمّ البلاد التي وصفها رب العالمين بقوله: «كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ» [الدخان: ٢٥- ٢٧]. والتي خلّد الله ذكرها في أشرف الكتب المنزلة على أفضل الرسل لخير أمة في أفضل بقاع الأرض في أفضل زمان؛ حيث قال جل شأنه: «ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ» [يوسف: ٩٩].

والإفساد لغة معناه: خروج الشيء عن الاعتدال، سواء كان الخروج قليلاً أو كثيرًا، وكل اعتداء على النفس أو الدين أو العِرْض أو المال فهو إفساد، هذا في اللغة، أما في الشرع فالإفساد هو إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح.

وفرَّق بين الإفساد والظلم؛ إذ الإفساد أعم من الظلم؛ لأن الظلم هو النقص، أما الإفساد فهو أشمل وأوسع من النقص.

قال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: «وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا» [الأعراف: ٥٦].

لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم إفساد في الأرض، بل فساد الأرض حقيقة هو الشرك بالله ومخالفة أمره، قال سبحانه: «ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ» [الروم: ٤١]، وقال ابن عطية في ذات الآية: «لا تعصوا في الأرض، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم.



مظاهر الإفساد وصوره:

وللإفساد مظاهر وصور عديدة نذكر بعضها؛ لكي يحذرها العباد ويبتعدوا عنها:

١- الشرك بالله:

الذي هو مساواة غير الله بالله في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات التي له سبحانه وتعالى وحده يقول سبحانه: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ » [البقرة: ١٦٥].

٢- نشر البدعة:

قال الله تعالى: « وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ » [الأعراف: ٥٦] ، قال السعدي: «لا تفسدوا في الأرض بالشرك بعد إصلاحها بالتوحيد».

٣- السحر:

والسحر من مظاهر الإفساد؛ حيث إن الله سبحانه سمى فاعله مفسدًا في الأرض، يقول جل شأنه: « قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ » [يونس: ٨١].

٤- التكبر والبغي بغير الحق:

حيث ذكر سبحانه في سورة القصص جانبًا من صفات فرعون وهامان وجنودهما ووصفهم بصفة الإفساد؛ بسبب بغيهم وظلمهم وقتلهم لذكور بني إسرائيل، قال جل شأنه: « إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ » [القصص: ٤].

٥- السرقة:

والسرقة إفساد في الأرض، قال سبحانه في سورة يوسف: « قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ » [يوسف: ٧٣]، ولذا فالذين يسرقون أموال الناس من متاجرهم وينهبون البنوك والسيارات مفسدون في الأرض.

٦- تكذيب الرسل ورد الحق:

قال سبحانه عن آل فرعون: « وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ » [النمل: ١٤]، وقال جل شأنه بشأن صالح عليه السلام مع قومه: « وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ » [الشعراء: ١٥١- ١٥٢].

٧- قتل النفس إفساد:

ويشتد الجرم إذا كانت تلك النفس صالحة، قال الله سبحانه: « وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ » [النمل: ٤٨]، واشتراك القوم بالتأييد والموافقة وعدم الإنكار يُعد أيضًا من الإفساد، يقول جل شأنه: « قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ » [النمل: ٤٩].

٨- بخس الموازين وتطفيف الكيل إفساد في الأرض:

قال سبحانه: « فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا » [الأعراف: ٨٥].

٩- قطع الرحم وعدم صلتها:

حيث أخبر سبحانه عن قاطع الرحم والمعرض عن ذكره، قال جل شأنه: « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ » [محمد: ٢٢].

١٠- إيقاد نار الحروب والإفساد بين الناس والإيقاع بينهم بالدسائس والفتن:

واليهود هم رأس هذا الإفساد، قال سبحانه في وصفهم: « كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ » [المائدة: ٦٤]. «ويسعون» فعل مضارع يفيد التجدد والاستمرار، فهم وراء كل فساد في أرض المسلمين، بل في العالم أجمع، والتاريخ شاهد على ذلك، ومن أصدق من الله قيلا.

١١- ارتكاب المنكرات وفعل الفواحش التي حرمها الله على اختلاف أشكالها وصورها:

يقول سبحانه: « إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ » [العنكبوت: ٢٨- ٢٩]، فكانت دعوة لوط عليه السلام على أولئك القوم: « قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ » [العنكبوت: ٣٠].

وبعدُ: هذه بعض صور الإفساد ومظاهره، وبشكل عام فإن من يطالب بإبعاد شريعة الله عن حياة الناس فهو مفسد، وإن زعم أنه من المصلحين بشعاراته البراقة وادعاءاته الزائفة، وصدق الله سبحانه: « أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ » [البقرة: ٣٠].

ولكن الله سبحانه له سنن في خلقه، ومن تلك السنن الثابتة الراسخة سنة التدافع بين الحق والباطل، والنصرة للحق وأهله مهما طال الزمن، يقول جل شأنه: « بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ » [الأنبياء: ١٨].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



مصر في سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم ووصيته (٢)

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله الذي فاوت بين العباد، وفضل بعض خلقه على بعض حتى في الأمكنة والبلاد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه السادة الأمجاد.. وبعد

وأخرج مسلم في صحيحه، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط؛ فاستوصوا بأهلها خيرًا؛ فإن لهم ذمة ورحما». أي حق وحرمة.

وعن كعب بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا؛ فإن لهم ذمةً ورحمًا». قال ابن شهاب: وكان يقال: إن أم إسماعيل عليه الصلاة والسلام منهم. وأخرجه أيضا الليث، عن ابن شهاب، وفي آخره: قال الليث: قلت لابن شهاب: ما رحمهم؟ قال: إن أم إسماعيل منهم. وأخرجه أيضًا من طريق ابن عيينة وابن إسحاق عن ابن شهاب. وهذا حديث صحيح، أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، والبيهقي وأبو نعيم، كلاهما في دلائل النبوة.

وأخرج الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في دلائل النبوة؛ بسند صحيح؛ عن أم سلمة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته، فقال: «الله الله في قبط مصر؛ فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانًا في سبيل الله».

وأخرج أبو يعلى في مسنده، وابن عبد الحكم بسند صحيح؛ من طريق ابن هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي وعمرو بن حريث وغيرهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ستقدمون على قوم جعد رءوسهم، فاستوصوا بهم خيرًا؛ فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله» -يعني قبط مصر.

إذن فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم يصف أهل مصر بأنهم عُدة الإسلام، وأعوان المسلمين، وبلاغ وقوة لأهله ضد الأعداء بإذن الله. ولهذا قال:» فاستوصوا بهم خيرًا».

وأخرج البزار في مسنده والطبراني بسند صحيح، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «إنكم ستجدون أجنادًا؛ جندًا بالشام ومصر والعراق واليمن».

وأخرج ابن الحكم عن ابن لهيعة، قال: كان عمرو بن العاص يقول: ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة.

هذه هي مصر

ذكر ابن عفير أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص. سلام عليك؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد،

فإني فكرت في بلدك (مصر) فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة، قد أعطى الله أهلها عدداً وجلداً وقوة في بر وبحر، قد عالجتها الفراعنة، وعملوا فيها عملا محكما، مع شدة عتوهم، فعجبت من ذلك، فاحب أن تكتب إلى بصفة مصر كأني أنظر إليها.

فكتب إليه عمرو بن العاص: بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فقد بلغني كتابك وقرأته وفهمته، وأما ما ذكرت فيه من صفة مصر، فإن كتابي سيكشف عنك عمى الخبر، ويرمي على بالك بنافذ البصر، إن مصر وما أحببت أن تعلمه من صفتها، تربة سوداء، وشجرة خضراء بين جبل أغبر ورمل أعفر، قد اكتنفها معدن رفقها، ومحط رزقها، ما بين أسوان، إلى منشأ البحر، في سح النهر، مسيرة الراكب شهراً، كأن ما بين جبلها ورملها بطن [مستدير]، وظهر أجب [مقطوع السنام]، يخط فيه نهرٌ مبارك الغدوات، ميمون البركات، يسيل بالذهب، ويجري بالزيادة والنقصان كمجاري الشمس والقمر، له أيام تسيل إليه عيون الأرض وينابيعها مأمورة بذلك، حتى إذا ربا وطما، واصلخم [قام] لججه، واغلولب عبابه، كانت القرى بما أحاط بها كالربا لا يوصل من بعضها إلى بعض إلا في السفائن والمراكب، ولا يلبث إلا قليلا حتى يكون كأول ما بدأ من جريه وأول ما طما [ارتفع] من شربه، وحتى تستبين فنونها ومتونها، ثم تنتشر فيه أمة محقورة، قد رزقوا على أرضهم جلداً وقوة، لغيرهم ما سعوا به من كدهم بلا حمد ينالهم من ذلك، يسقون سهل الأرض وخرابها وروابيها، ثم يلقون فيها من صنوف الحب ما يرجون به التمام من الرب، وما يلبث إلا قليلا حتى يشتد، ثم تسيل قنواته وتصفر، يسقيه من تحته الثرى ومن فوقه الندى، أو سحاب منهمر بالأرائك مستدر، ثم في هذا الزمان من زمانها يغنى ذبابها، ويبدأ في صرامها، فبينما هي مدرة سوداء إذا هي لجة زرقاء، ثم غوطة خضراء، ثم ديباجة رقشاء، ثم فضة بيضاء، فتبارك الله أحسن الخالقين، الفعال لما يشاء. وإن خير ما اعتمدت عليه في ذلك شكر الله عز وجل يا أمير المؤمنين، على ما أنعم عليك منها، فأدام الله لك النعمة والكرامة في أمورك كلها والسلام. [فضائل مصر المحروسة ص: ١٠]

هذه هي مصر التي يسعى المخربون في عصرنا هدمها وتخريبها ؛ حال الله بينهم وبين ما يشتهون.

من صاهر المصريين من الأنبياء

وصاهر القبط من الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام بهاجر أم إسماعيل عليهما السلام. ويوسف بتزوجه بنت صاحب عين شمس ومحمد صلى الله عليه وسلم بتسريه مارية رضي الله عنها.

من كان بمصر من الأنبياء

وأما من كان بها من الأنبياء عليهم السلام، فإبراهيم الخليل، وإسماعيل ويعقوب، ويوسف. واثنا عشر نبياً من ولد يعقوب وهم الأسباط وموسى وهارون ويوشع بن نون، وعيسى بن مريم، ودانيال، عليهم الصلاة والسلام.[فضائل مصر]

من ذكرهم الله تعالى بكتابه من أبطال مصر

ومنهم فيما يقال: الخضر عليه السلام.

ومنهم: السحرة الذين تجمعوا لموسى حين رأوا آيات موسى لم يصروا على الكفر، ولم يلبثوا أن آمنوا وسجدوا لله عز وجل. قال تعالى في كتابه: «فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون» وفي آيات كثيرة كرر ذكرهم وأثنى عليهم. « فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ».

وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة السبئي، وبكر بن عمر الخولاني، ويزيد بن أبي حبيب، قالوا: كان عدد السحرة اثنى عشر ساحراً تحت يدي كل ساحر منهم عشرون عريفا. تحت يدي كل عريف منهم ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتي ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين وخمسين إنسانا بالرؤساء والعرفاء (٢٤٠٢٥٢) ألف.

وأجمعت الرواة على أنه لا يُعلم جماعة أسلمت في ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط أهل مصر.

وروى أنه لم يفتتن رجل واحد منهم كما افتتن بنو إسرائيل بعبادة العجل.

وكذلك مؤمن آل فرعون والرجل الذي نصح موسى بالخروج لئلا يُقتل.

نساء مصر في القرآن

وأما عن الصالحات من نساء مصر في القرآن فحدث ولا حرج، قد رفعهن الله مقامًا عليًا، وخلد ذكرهن إلى يوم كان وعده مأتيًا.

فامرأة فرعون آسية بنت مزاحم التي خلد الله ذكرها في القرآن وجعلها مثلاً للذين آمنوا كانت مصرية، وقد قال الله تعالى فيها:«وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ » [التحريم: ١١] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَوَحَّدُوهُ، امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ الَّتِي آمَنَتْ بِاللَّهِ وَوَحَّدَتْهُ، وَصَدَّقَتْ رَسُولَهُ مُوسَى، وَهِيَ تَحْتَ عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ كَافِرٍ، فَلَمْ يَضُرَّهَا كُفْرُ زَوْجِهَا، إِذْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً بِاللَّهِ، وَكَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، إِذْ قَالَتْ: رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهَا فَبَنَى لَهَا بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. [تفسير الطبري ٢٣/ ١١٤].

ـ وأم موسى؛ التي قال الله فيها:«وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا

كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي
وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
(٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا
أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ
قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) ۞ وَحَرَّمْنَا
عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ
لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» [القصص: ٧ - ١٤].

ـ وهاجر أم إسماعيل مصرية، وهي التي تفجرت زمزم لها ولابنها عينا معينًا يشرب منها العالمون، والسعي الذي يسعاه المسلمون حول الكعبة تخليدًا لسعي هذه المرأة المصرية.

ـ وماشطة بنت فرعون امرأة مؤمنة كانت مصرية، وقد أنبأنا النبي صلى الله عليه وسلم من خبرها فقال: «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها أتت علي رائحة طيبة فقلت: يا جبريل! ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت: ما شأنها؟

قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يدها فقالت: بسم الله. فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا ولكن ربي ورب أبيك: الله. قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم. فأخبرته فدعاها فقال: يا فلانة وإن لك ربا غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها. قالت له: إن لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا. قال: ذلك لك [لما لك] علينا من الحق. قال: فأمر بأولادها فالقوا بين يديها واحدا واحدا إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها يرضع وكأنها تقاعست من أجله قال: يا أمه! اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة. فاقتحمت». قال ابن عباس:تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام وصاحب جريج وشاهد يوسف وابن ماشطة فرعون. الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

ـ وأم عيسى عليه السلام وابنها أواهما الله تعالى إلى ربوة في مصر ذات قرار ومعين. قال تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» [المؤمنون ٥٠].

وأم إبراهيم ابن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مارية رضي الله عنها مصرية.

من فضائل مصر وفضلها على غيرها

قال أبو عمرو الكندي: وأما ذكر مصر وفضلها على غيرها من الأمصار وما خصت به وأوثرت به على غيرها، فروى أبو بصرة الغفاري قال: مصر خزانة الأرض كلها، وسلطانها سلطان الأرض كلها، قال الله تعالى عن يوسف عليه السلام.» قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم «. ولم تكن تلك الخزائن بغير مصر، فأغاث الله بمصر وخزائنها كل حاضر وباد من جميع الأرض.

وأجمع أهل المعرفة: أن مصر لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور (حصار) لغني أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا.

وقال يحيى بن سعيد: جُلت البلاد فما رأيت الورع ببلد من البلدان أعرفه إلا بالمدينة وبمصر. وقال خالد بن يزيد: كان كعب الأحبار يقول: لولا رغبتي في الشام لسكنت مصر؛ فقيل: ولم ذلك يا أبا إسحاق؟ قال: إني لأحب مصر وأهلها؛ لأنها بلدة معافاة من الفتن، وأهلها أهل عافية، فهم بذلك يعافون، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه، وهو بلد مبارك لأهله فيه.

العجائب التي بمصر

وأما والعجائب والبركات والحكم التي بها، فجبلها المقدس، ونيلها المبارك، وبها الطور حيث كلم الله تعالى موسى، وبها الوادي المقدس، وبها ألقى موسى عصاه، وبها فلق البحر لموسى، وبها ولد موسى وهارون وعيسى عليهم السلام. وبها كان مُلك يوسف، وبها النخلة التي ولدت مريم عيسى تحتها بسدمنت من كورة أهناس، وبها اللبخة التي أرضعت عندها مريم عيسى بأشمون، (واللَبَخ واحدته لبَخة - شَجَرَة عَظِيمَة وَأعظم وَرقهَا شبيه بورق الْجَوْز[المخصص لابن سيده ٣/ ٢٣٦])فخرج من هذه اللبخة الزيت.

وبها من الأبنية والآثار: الأهرام، وليس على وجه الأرض بناء باليد حجراً فوق حجر أطول منها.

وبالنيل السمكة التي تسمى الرعادة، إذا وضع الرجل الجلد يده عليها لم يتمالك أن يضطرب جسمه كله اضطراباً شديداً.

وبها مجمع البحرين، وهو البرزخ الذي ذكره الله تعالى فقال: « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان «. وقال تعالى: «وجعل بين البحرين حاجزا»، «وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً الْبَرْزَخُ»: الْحَاجِزُ، وَالْحَائِلُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا مِنْ قُدْرَتِه، يَفْصِلُ بينهما، وبمنعهما التَّمَازُجَ، وَمَعْنَى حِجْراً مَحْجُوراً سَتْرًا مَسْتُورًا يَمْنَعُ أَحَدَهُمَا مِنَ الِاخْتِلَاطِ بِالْآخَرِ، فَالْبَرْزَخُ: الْحَاجِزُ، وَالْحِجْرُ: الْمَانِعُ.[فتح القدير للشوكاني ٤/ ٩٥]

وبها الثياب الصوف والأكسية المِرْعِزّ، وليس هي في الدنيا إلا بمصر. والمِرْعِزّ، كزِبْرِج مُشدَّد الآخر، والمِرْعِزَّى، بالألف المقصورة مَعَ تَشْدِيد الزَّاي: الزَّغَب الَّذِي تَحت شَعْرِ العَنْز، قَالَه الجَوْهَرِيّ،وجعل سِيبَوَيْه

المِرْعِزَّى صفة عَنَى بِهِ اللَّيِّنَ من الصُّوف.[تاج العروس ١٥/ ١٥٧]

وذكر بعض أهل مصر أن معاوية لما كبر كان لا يدفأ، فاجمعوا أنه لا يدفئه إلا أكسية تعمل في مصر،من صوفها المرعز العسلي غير مصبوغ، فعمل له منها عدد، فما احتاج منها إلا إلى واحد.

ولهم النتاج العجيب من الخيل والبغال والحمير ما يفوق نتاج أهل الدنيا، وليس في الدنيا فرس في نهاية الصورة جمالاً في العنق غير الفرس المصري، وليس في الدنيا فرس لا يُرْدَف غير المصري، وسبب ذلك قصر ساقية وبلاغة صدره وقصر ظهره، وذكر أن الوليد الخليفة عزم على أن يجري الخيل ويمتحن خيل البلدان، فكتب إلى سائر الأمصار أن يتخير له خيل كل بلد، ويتوجه به إليه، فلما اجتمعت عُرضت عليه، فمرت به الخيول المصرية، فلما رآها دقيقة العصب، لينة المفاصل والأعطاف، قال: هذه خيل ما عندها طائل، فقال له عمر بن عبد العزيز وهو جالس معه: وأين الخير كله إلا لهذه وعندها؟ فقال له: ما تترك تعصبك يا أبا حفص لمصر على كل حال؟ (لأن عمر بن عبد العزيز مولود بمصر بحلوان) فلما أجريت الخيل جاءت المصرية كلها سابقة ما خالطها غيرها.

ولهم معدن الذهب، يفوق معدنهم كل معدن. ولهم معدن الزمرد، وليس في الدنيا زمرد إلا معدن بمصر، ومنها يحمل إلى سائر الدنيا. ولهم القراطيس، وليس هي في الدنيا إلا بمصر ولهم القمح اليوسفي، وليس هو في الدنيا إلا بمصر. ولهم زيت الفجل ودهن البلسان والأبرميس وشراب العسل والبسر البرني الأحمر واللبخ والخس والكبريت، والريش والشمع والعسل والترمس والجلبان والذرة والنيدة والأترج الأبلق والفراريج السرمكية، وذكر أن مريم عليها السلام شكت إلى ربها قلة لبنها فألهمها أن عملت النيدة فأطعمتها عيسى عليه السلام.

ولهم البقر الخيسية المؤبدة للحلب فقط، وهي أحسن البقر صورة، وبقر مصر ليس في الدنيا بقر أعظم منها، حتى أن العفو منها يساوي أكثر من عفو ثور من غيرها. ولهم حطب السنط والأبنوس والقرظ الذي تعلفه الدواب. وذكر بعض أهل العلم أنه يوقد بحطب السنط عشرين سنة في الكانون أو التنور فلا يوجد له رماد طول هذه المدة.

وقال بعض أهل العلم: ليس في الدنيا شجرة إلا وهي بمصر، عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها. ويوجد بمصر في كل وقت من الزمان من المأكول والمادوم والمشروب والمشموم وسائر البقول والخضر، جميع ذلك في الصيف والشتاء، لاينقطع منه شيء لبرد ولا لحر، يوجد ذلك كله في الصيف ويوجد بعينه في الشتاء غير مفقود منه شيء واحد.

وقال بعض من سكن مصر: لولا ماء طوبة، وخروف أمشير، ولبن برمهات، وورد برمودة، ونبق بشنس، وتين بئونة، وعسل أبيب، وعنب مسرى، ورطب توت، وسمك كيهك، ما سكنت مصر.

ومصر مع ذلك فرضة (ملتقى ومنحدر)مكة والمدينة وساحلهما، وفرضة صنعاء وعدن وعمان والشحر والسند والهند والصين وجزائر الصين وسرنديب وغيرها، يجلب العطر والجواهر والطرائف والآلات في البحر حتى توافى المراكب بالقلزم.

وهي فرضة بحر الروم من الشام كلها، وبلد الروم من أنطاكية إلى ما وراءها من قسطنطينة ورومية وبلد الإفرنجة وأنطابلس وطرابلس والقيروان وتاهرت. وسجلماسة والسوس وطنجة والأندلس وجزائر البحر صقلية وأقريطش، وقبرس، ورودس. يحمل إليها رقيق هذه البلدان كلها من الجواري والغلمان والديباج والحرير والمصطكي والميعة والمرجان والعنبر والزعفران وسائر أصناف التجارات، ويحمل من مصر إليها مثل ذلك، ولا يقصدون بلداً سواها، ولا يؤمون غيرها، فلأهلها خيار ذلك كله، ولسائر الناس حثالته، فبارك الله، لواليها فيما ولاه وهناه بما أعطاه، وأوزعه على ذلك شكره، وألهمه خشيته، وأصلح له جنده ورعيته.

نيل مصر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ، وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ». [صحيح مسلم]. وأجمع أهل العلم أنه ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل، يسير مسيرة شهر في بلاد الإسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة، إلى أن يخرج من جبل القمر خلف خط الاستواء.

وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال إلا هو وليس نهر يصيب في بحر الروم والصين غير نيل مصر. وليس في الدنيا نهر يزيد ويمد في أشد ما يكون من الحر حين تنقص أنهار الدنيا وعيونها غير نيل مصر، وكلما زاد الحر كان أقوى لزيادته، وليس في الدنيا نهر يزيد بترتيب غير نيل مصر. وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على نيل مصر، ولا يجبى من خراج نهر من أنهار الدنيا ما يجبى من خراج النيل.[فضائل مصر المحروسة ص: ١٢].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة في قتل الحجاج لسعيد بن جبير رضي الله عنه ومناظرته وإسلام الراهب

إعداد: علي حشيش

الحلقة (١٥٠)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: المتن:

يُرْوَى أن الحجاج بن يوسف لما ذُكر له سعيد بن جبير، أرسل إليه قائدًا من أهل الشام من خاصة أصحابه يسمى المتلمس بن الأخوص ومعه عشرون رجلاً من أهل الشام من خاصة أصحابه، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعة فسألوه عنه، فقال الراهب: صفوه لي، فوصفوه له، فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه ساجدًا يناجي بأعلى صوته، فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه فأتم بقية صلاته، ثم ردَّ عليهم السلام فقالوا:

إنا رسل الحجاج إليك فأجبه، قال: ولا بد. فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قام فمشى معهم حتى انتهوا إلى دير الراهب.

فقال الراهب: يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم؟

قالوا نعم.

فقال لهم: اصعدوا الدير فإن اللبؤة والأسد يأويان حول الدار، فعجِّلوا الدخول قبل المساء، ففعلوا ذلك، وأبى سعيد أن يدخل الدير فقالوا:

ما نراك إلا وأنت تريد الهرب منا. قال: «ولكنْ لا أدخل منزل مشرك أبدًا».

قالوا: فإنا لا ندعك فإن السباع تقتلك.

قال سعيد: «لا ضير إن معي ربي فيصرفها عني ويجعلها حرسًا حولي تحرسني من كل سوء إن شاء الله».

قالوا: فأنت من الأنبياء.

قال: «ما أنا من الأنبياء، ولكن عبد من عبيد الله خاطئ مذنب».

قال الراهب: فليعطني ما أثق به على طمأنينة، فعرضوا على سعيد أن يعطي الراهب ما يريد.

قال سعيد: «إني أعطي الله العظيم الذي لا شريك له، لا أبرح مكاني حتى أصبح إن شاء الله».

فقال لهم الراهب: اصعدوا وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح، فلما صعدوا، وأوتروا القِسِي إذ هم بلبؤة قد أقبلت، فلما دنت من سَعيد تحاكت به وتمسحت به، ثم ربضت قريبًا منه، وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك، فلما رأى الراهب ذلك، وأصبحوا، نزل إليه فسأل عن شرائع دينه وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم.

ففسر سعيد ذلك كله، فأسلم الراهب وحسن إسلامه وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه، ويقبِّلون يديه ورجليه، ويأخذون التراب الذي وطئه وصلى عليه ويقولون: يا سعيد، قد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نستخلصك إليه، فمرنا بما شئت.

قال: «امضوا لأمركم فإني لائذ بخالقي ولا رادّ لقضاء الله».

فساروا حتى بلغوا واسطًا فلما انتهوا إليها قال لهم سعيد: يا معشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم، ولست أشك أن أجلي قد حضر، وأن المدة قد انقضت فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت، وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر، وما يحثى عليَّ من التراب، فإذا أصبحتم فالميعاد بيني وبينكم الموضع الذي تريدون، فقال بعضهم: هو عليَّ أدفعه إليكم إن شاء الله، فنظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه وشعث رأسه، واغبر لونه، ولم يأكل، ولم يشرب، ولم يضحك منذ يوم لقوه وصحبوه، فقالوا بجماعتهم: يا خير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نَسرح إليك، الويل لنا ويلاً طويلاً كيف ابتلينا بك، اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر، فإنه القاضي الأكبر العدل الذي لا يجور.

وقال سعيد: ما أعذرني لكم وأرضاني بما سبق من علم الله تعالى.

فلما فرغوا من البكاء والمحاربة والكلام، فيما بينهم قال كفيله: أسألك بالله يا سعيد لما زودتنا من دعائك وكلامك، فإنا لم نلقَ مثلك أبدًا، ولا نرى أنا نلتقي إلى يوم القيامة.

قال: ففعل سعيد، فخلوا سبيله، فغسل رأسه ومدرعته، وكساه وهم مختفون الليل كله ينادون بالويل واللهف، فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب فقالوا: صاحبكم ورب الكعبة، فنزلوا إليه، وبكوا معه طويلاً ثم ذهبوا به إلى الحجاج، وآخر معه فدخلا على الحجاج فقال الحجاج: «أتيتموني بسعيد بن جبير؟»، قالوا: نعم، وعاينا منه العجب فصرف بوجهه عنهم، وقال: فأدخلوه عليَّ، فخرج المتلمس فقال لسعيد: أستودعك الله، وأقرئ عليك السلام، قال: فأدخل عليه، فقال: ما اسمك؟

قال: سعيد بن جبير.

قال: أنت الشقي بن كسير.

قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك.

قال: شقيت أنت، وشقيت أمك.

قال: الغيب يعرفه غيرك.

قال: لأبدلنك نارًا تلظى.

قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا.

قال: فما قولك في محمد؟

قال: نبي الرحمة وإمام الهدى عليه السلام.

قال: فما قولك في عليّ؟ أفي الجنة هو أو في النار؟

قال: لو دخلتها فرأيت أهلها عرفت من فيها.

قال: فما قولك في الخلفاء؟

قال: لست عليهم بوكيل.

قال: أيهم أعجب إليك؟

قال: أرضاهم لخالقي؟

قال: فأيهم أرضى للخالق؟

قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

قال: أبيت أن تصدقني.

قال: إني لم أحب أن أكذبك.

فقال الحجاج: ويلك يا سعيد!!

فقال سعيد: الويل لمن زُحزح عن الجنة وأدخل النار.

ثم قال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك.

قال سعيد: اختر لنفسك يا حجاج فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال الحجاج: فتريد أن أعفو عنك.

قال: إن كان العفو فمن الله، فأما أنت فلا براء لك ولا عذر.

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج من الباب، ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده.

فقال الحجاج: ما أضحكك؟

قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك.

فأمر الحجاج بالنطع فبسطت.

فقال: اقتلوه.

فقال سعيد: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

قال الحجاج: شدوا به لغير القبلة.

فقال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

قال الحجاج: كبّوه لوجهه.

قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

قال الحجاج: اذبحوه.

قال سعيد: أما إني أشهد وأحاج، أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة، ثم دعا سعيد وقال: «اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي، فذبح على النطع رحمه الله».

قلت: النطع: «بساط من الجلد، كثيرًا ما كان يُقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل». يقال عليَّ بالسيف والنطع كذا في «المعجم الوجيز» (ص٦٢١) مجمع اللغة العربية، ط. وزارة التربية والتعليم.

ثانيًا: التخريج:

هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وأخذت منها أجزاء نشرت في كثير من الكتب بغير تخريج ولا تحقيق مما أوجب علينا أن نبحث في أصلها لنقف على سندها وإخراج عللها.

ولقد تبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي في كتابه «الرقة والبكاء» الأثر (١٢) قال: «وأخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي إجازة أو سماعًا، أنبأنا أبو الفضل حمد بن أحمد الحداد، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهاني، حدثنا أبي، حدثنا خالي أحمد بن محمد بن يوسف، أخبرني أبو أمية محمد بن إبراهيم إليَّ، حدثنا حامد بن يحيى، حدثنا حفص أبو مقاتل السمرقندي حدثنا عون بن أبي شداد العبدي، أن الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير...» القصة.

ثالثًا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة باطل وعلته: حفص أبو مقاتل السمرقندي.

١- ولقد بيّن الإمام الترمذي في كتاب «العلل» حقيقة ما رواه حفص أبو مقاتل السمرقندي عن عون بن شداد العبدي فقال: أخبرني موسى بن حِزام سمعت صالح بن عبد الله يقول: «كنا عند أبي مقاتل السمرقندي، فجعل يروي عن عون بن أبي شداد الأحاديث الطوال التي كان يروي في وصية لقمان، وقتل سعيد بن جبير وما أشبه هذه الأحاديث، فقال ابن أخ لأبي مقاتل: يا عم لا تقل حدثنا عون، فإنك لم تسمع هذه الأشياء. قال: بلى هو كلام حسن». اهـ.

٢- قلت بتحليل ما أخرجه الإمام الترمذي وتطبيقه على خبر القصة سندًا ومتنًا تستبين العلة، وهذا هو التحليل:

أ- قول صالح بن عبد الله «كنا عند أبي مقاتل السمرقندي، فجعل يروي عن عون بن أبي شداد»، ينطبق على خبر القصة حيث جاء من طريق أبي مقاتل السمرقندي حدثنا عون بن أبي شداد العبدي.

ب- قوله: «يروي الأحاديث الطوال في قتل سعيد بن جبير»، ومتن حديث القصة بلغ خمسة وستين سطرًا.

جـ- والسند قال فيه أبو مقاتل السمرقندي: حدثنا عون بن أبي شداد العبدي، وهنا تستبين العلة في قول ابن أخ لأبي مقاتل: «يا عم لا تقل حدثنا، فإنك لم تسمع هذه الأشياء. قال: يا بني كلام حسن». اهـ.

قلت: ولهذا يتبين أن هذه القصة كلام كذب مختلق مصنوع استحسنه أبو مقاتل السمرقندي فجعله حديثًا.

٣- شرح الإمام الحافظ ابن رجب لما أوردناه آنفًا مما أخرجه الإمام الترمذي في العلل حيث قال ابن رجب في «شرح علل الترمذي»

(١/٩٧): «وقد ذكر الترمذي من أهل العبادة المتروكين رجلين:
أحدهما: أبان بن أبي عياش.
والآخر: أبو مقاتل السمرقندي واسمه حفص بن سلم الفزاري وهو من العُباد يروي عن الكوفيين.
أ- ذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال: «يروي المناكير، وقد أفحش قتيبة بن سعيد وغيره القول فيه مات سنة ثمان ومائتين». اهـ.
ب- وذكره ابن حبان في كتاب «الضعفاء» وقال: «كان صاحب تقشف وعبادة، ولكن كان يأتي بالأشياء المنكرة التي يُعلم من كتب الحديث أنها ليس لها أصل يُرجع إليه». اهـ.
جـ- وكان قتيبة بن سعيد يحمل عليه شديدًا ويضعفه بمرة، وقال: كان لا يدري ما يحدث به وكان عبد الرحمن بن مهدي يكذّبه.
د- قال نصر بن حاجب المروزي: «ذكرت أبا مقاتل لعبد الرحمن بن مهدي، فقال: والله لا تحل الرواية عنه».
ل- وكذلك وكيع بن الجراح كان يكذّبه.
م- وذكره ابن عدي في كتابه، وذكر بإسناده عن الجوزجاني قال: «أبو مقاتل السمرقندي كان فيما حدثت ينشئ للكلام الحسن إسنادًا». ثم خرّج له ابن عدي أحاديث منكرة، ثم قال: «أبو مقاتل هذا له أحاديث كثيرة، ويقع في أحاديثه مثل ما ذكرته وأعظم منه، وليس هو ممن يعتمد على رواياته». اهـ.
وذكره الإدريسي في تاريخ سمرقند وغير واحد من العلماء.
قلت: هذا ما ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي في «شرح علل الترمذي» عن أبي مقاتل السمرقندي تحت «ما ذكره الترمذي من أهل العبادة المتروكين».
٤- ولقد أقر الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/٣٩٢، ٢٨٤٤/٦٨٣) ما أخرجه الإمام الترمذي في «العلل»؛ حيث ختم ترجمة حفص بن سلم أبي مقاتل السمرقندي، فجعل يروي عن عون بن شداد الأحاديث الطوال التي كانت تُروى في وصية لقمان، وقتل سعيد بن جبير... كما بينا آنفًا.
٥- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١/٢٥٦): «أبو مقاتل المسرقندي اسمه حفص بن سلم كان صاحب تقشف وعبادة، ولكنه يأتي بالأشياء المنكرة التي يُعلم من كتب الحديث أنه ليس لها أصل يرجع إليه، وكان قتيبة بن سعيد يحمل عليه شديدًا ويضعفه بمرة، وقال: كان لا....».
قلت: هذا ما نقله الإمام ابن حبان في «المجروحين» من أقوال أئمة الجرح والتعديل وأقرها، ثم ختم ترجمته بقوله: «وكذلك وكيع كان يكذبه». اهـ.
٦- وقال الإمام ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٢/٣٩٢، ٥١٥/١٤٦): «حفص بن سلم أبو مقاتل السمرقندي». ثم أخرج له عدة أحاديث موضوعة ومنكرة ثم قال: «أبو مقاتل هذا له أحاديث كثيرة، ويقع في أحاديثه مثل ما ذكرته أو أعظم منه وليس هو ممن يعتمد على روايته». اهـ.
قلت: وهذا تأصيل لما نقله الإمام الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (١/٧٩، ١٠٠، ١٠١) عن أئمة الجرح والتعديل وبيان علة هذه القصة الواهية وما فيها من كذب لا تحل الرواية عنه يضع الأحاديث لما يستحسنه فكم أخذ الخطباء والوعاظ من حديث هذه القصة الطويل خطبًا وكم كتبت كتب فانتشرت هذه القصة الواهية، فالحمد لله الذي وفقنا لكشف عوارها وبيان وضعها وعللها فالصنعة الحديثية لا يؤثر فيها غشاوة التقشف والعبادة للكذاب الوضاع.
هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

المذهب الوسطي لأبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات

تابع: (مجاراة الأشعري لأئمة السلف وتابعيهم بإحسان في استنكارهم تأويلات المعتزلة والجهمية والشيعة والخوارج.. ومن تبعهم في ذلك من متأخري الأشاعرة)

الحلقة السابعة

الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى.. ثم أما بعد:

فنستكمل - بحول الله وقوته - ما وقفنا عنده من مقالات أهل السنة والجماعة التي توافق ما كان عليه الأشعري في استنكار الجميع لتأويلات المعتزلة والجهمية والشيعة والخوارج، ومن تبعهم في ذلك من متأخري الأشاعرة.

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

وإنه لما يلفت النظر ويسترعي الانتباه، أن يستعمل أئمة الهدى والعلم كلّ أساليب الإنكار ضد متأخري الأشاعرة الذين أخذوا عن المعتزلة والجهمية القول بالتفويض في معاني الصفات، أو اللجوء إلى إخراجها إلى غريب المجازات، وتأويلها على نحو غير صحيح، على نحو ما هو شائع الآن مِن تأويل (اليد) بـ(القدرة)، و(الاستواء) بـ(الاستيلاء)، و(الوجه) بـ(الذات) إلخ.. وذلك بدءًا من الزجر والتقريع والتحذير ممن يصدر عنه شيء من هذا القبيل، وانتهاء بالحكم عليه بالزندقة وتحريف نصوص القرآن وصحيح السنة وتكذيبهما، والخروج بذلك عن مذهب أهل السنة وإجماعهم، ومرورًا بتعنيفه وتأديبه بالضرب بالنعال على أم رأسه، وبتبكيته والتطواف به على سبيل التشنيع والإهانة.

خطورة الخروج في أمر الصفات عما كان عليه سلفنا الصالح:

ومن النصوص الدالة على ذلك والمبينة إلى أيّ مدى كانت خطورة الخروج في أمر الصفات عما كان عليه سلفنا الصالح عند أهل العلم والفضل: ما أَلْمَحَ إليه الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) من أن حمل الاستواء على معنى القهر أو الاستقرار أو الاستيلاء، هو مما أجمع أئمة الحديث واللغة والمحققون من أهل التفسير على بطلانه، لكون هذه المعاني - ولو من غير المغالبة - مما تليق بالمخلوق دون الخالق.. يقول لُغويّ زمانه ابن الأعرابي (ت٢٣١) لمن جادله وارتأى أنها بمعنى استولى: (اسكت ما يدريك ما هذا؟! العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له مضادّ، والله لا مضادّ له، وهو على عرشه كما أخبر).. كما حدّث بهذا أيضًا شيخ العربية ابن نفطويه (ت ٣٢٣) [ونقله عنهما الحافظ الذهبي في العلو ١٣٣].

وقريب من هذا ما جاء عن الإمام العلامة ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، فقد أورد ما تضمنه قول الجهمية - ومن سار على دربهم- من تكذيب لما جاء في الكتاب والسنة، فقال: «قوله تعالى: (ثم استوى على العرش) [الأعراف: ٥٤]، يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون: (ليس على العرش سوى العدم، وإن الله ليس مستويًا على عرشه، ولا تُرفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكلم الطيب، ولا رفع المسيح عليه الصلاة والسلام إليه، ولا عرج برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولا تَعرُج الملائكة والروح إليه، ولا ينزل من عنده جبريل عليه السلام ولا غيره، ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يخافه عباده من فوقهم، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبي في أعظم مجامعه في حجة الوداع، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إلى الناس، ويقول: (اللهم اشهد)».. قال شيخ الإسلام في رد ذلك: «وهذا كتاب

الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وكلام الأئمة، مملوء مما هو (نص) أو (ظاهر) في أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه» [اجتماع الجيوش ص ٢٨].. وراح يذكر من أدلة الكتاب والسنة الكثير ومما به تقام الحجة الرسالية.

وما أورده الذهبي عن العلامة أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩هـ) مفتي أهل مكة وعالمهم بعد شيخه سفيان بن عيينة، من قوله: «ما نطق به القرآن والحديث مثل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، ومثل قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وما أشبه ذلك من القرآن والحديث، لا نزيد فيه ولا نفسره [يعني تفسيرًا يُخرجه عن ظاهر معناه وعما تقتضيه اللغة وكان عليه الصحابة والتابعون، من نحو ما ابتكره المعطلة والمؤولة]، نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ونقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي» [أصول السنة للحميدي ص ٦٢، والعلو للذهبي١٢٢، ١٢٣ وذم التأويل ٣١].

آخر ما تكلم به أبو الحسن الأشعري قبل موته:

أورد الذهبي عن زاهر بن أحمد الفقيه قال: «مات الأشعري في حجري، فكان يقول شيئًا في حال نزعه من داخل حلقه، فأدنيت إليه رأسي وأصغيت إلى ما كان يقرع سمعي، فكان يقول: (لعن الله المعتزلة موّهوا ومخرقوا)» [العلو ص ١٦٢والتبيين ص ١٤٨وطبقات الشافعية لابن كثير١/ ٢٠٥].

ذكر بعض ما أجمع عليه أهل الحديث والأثر في العقيدة:

وما نقله في العلو ص ١٧٤ عن الباقلاني (ت ٤٠٣) في كتابه (الذبّ عن أبي الحسن الأشعري)، فقد قال بعد أن أوضح أن مذهبه هو إثبات اليدين والوجه والعينين، وأنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وأنه مستو على عرشه كما ذكر مالك: «فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل».. وبنحوه عن شيخ الصوفية الإمام العارف بالله أبي منصور معمر بن أحمد بن زياد الأصبهاني (ت ٤١٨) بعد سرده لبعض ما أجمع عليه أهل الحديث والأثر وأهل المعرفة والتصوف من أن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، وأنه يتكلم ويرضى ويسخط ويعجب ويضحك، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا، ولفظه: «فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال» [العلو ١٧٧واجتماع الجيوش ص ١٠٨].

وما ذكره كذلك عن يزيد بن هارون (ت ٢٠٦)، وبنحوه عن الإمام القعنبي (ت ٢٢١) لما سمع رجلاً من الجهمية يقول: (الرحمن على العرش استوى)، قال: «من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يَقَر في قلوب العامة فهو جهمي» [العلو ١١٧، ١٢١ واجتماع الجيوش ص٨٥ والمعارج ١/١٣٧، ١٣٩]..

وما أورده عن سهل التستري (ت ٢٨٣) فيمن تأول وكيَّف الاستواء، وأدخل العقل في البحث عن كنهه: «إنما سُمي الزنديق زنديقًا لأنه وزن دقّ الكلام بمخبول عقله، وترك الأثر وتأول القرآن بالهوى، فعند ذلك لم يؤمن بأن الله على عرشه» [العلو ص ١٤٨ومختصره ص٢٢٠ والمعارج ١/١٤٥].

وقريب من ذلك، ما زاد الذهبي في شهرته من قول الإمام مالك (ت ١٧٩) لمن سأل عن الاستواء ابتغاء تعطيله وتأويله: «وأنت صاحب بدعة»، «وإني أخاف أن تكون ضالاً»، فأمر به فأخرج. [العلو ص١٠٣، ١٠٤ومختصره ١٤١]..

وما نقله عن يحيى بن معاذ الرازي (ت ٢٥٨) قال: «إن الله على العرش بائنٌ من خلقه، أحاط بكل شيء علمًا، لا يشذ عن هذه المقالة إلا جهمي يمزج الله بخلقه» [العلو ص١٤٠ومختصره ص٢٠٨ والمعارج ١/ ١٤٣].

وكذا ما أورده عن ابن الماجشون (ت١٦٤) لما سُئل عما جحدت به الجهمية قال: «أما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقًا وتكلفًا، فقد استهوته الشياطين في الأرض حيران، فعمي عن البيِّن بالخفيّ ولم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - في الحديث المتفق عليه -: (لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قط قط ويزوي بعضها على بعض)، وقال لثابت بن قيس - فيما اتُفق عليه أيضا -: (لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة)، وذكر فصلاً طويلاً في

هذا المعنى» [العلو ١٠٦ومختصره ص١٤٥]..

وكذا ما أورده عن عالم البصرة سعيد بن عامر الضبعي (ت ٢٠٨) لما ذكر الجهمية، من قوله: «هم شر من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين، على أن الله عز وجل على العرش، وقالوا هم: (ليس على شيء)» [العلو ص ١١٧ومختصره ص ١٦٨واجتماع الجيوش ص ٨٤ والمعارج ١/ ١٣٧].

ما يسع المسلم اعتقاده:

وفي كلام لابن جرير الطبري (ت ٣١٠) في ذم النفاة وما يسع المسلم اعتقاده، يقول رحمه الله: «وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر» [اللالكائي ١/ ١٨٦والعلو ١٥٠واجتماع الجيوش ص٧٥]..

وقال إمام الديار المصرية في وقته الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت٣٢١)، يقول: «من رام ما حُظِرَ عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصحيح الإيمان، ومن لم يتوَقَّ النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه» [العلو ص ١٥٨ومختصره ص ٢٣٥].

تأديب من خالف طريق السلف في باب الصفات:

ومما ورد من أساليب التهديد والوعيد في تأديب من خالف طريق السلف في باب الصفات، ما أورده الذهبي كذلك عن إبراهيم بن موسى قال: «كنت عند بكير بن جعفر فجاء رجل فقال: (الله على عرشه كيف؟)، فقال بكير: (جروا برجله، فجروه)»..

وما أورده عن عبد الله بن أبي جعفر الرازي (ت ١٦٠) فيما حكاه عنه صالح بن الضريس قال: «جعل عبد الله يضرب رأس قرابة له يرى برأي جهم، فرأيته يضرب بالنعل على أمِّ رأسه، ويقول: (لا، حتى تقول: الرحمن على العرش استوى، بائن من خلقه)» [العلو ص١١٣، ١١٩ومختصره ص ١٥٩، ١٧٣واجتماع الجيوش ص٨٦ والمعارج ١/ ١٣٨]..

وعن عالم الري هشام بن عبيد الله الرازي (ت ٢٢١) وكان قد قضى بحبس رجل يخوض في الصفات، فلما قيل: إنه تاب، جئ به إليه ليمتحنه فقال له: (أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟) قال: لا أدري ما بائن من خلقه، فقال: (رُدّوه فإنه لم يتب بعدُ). [العلو ص ١٢٣ومختصره ص١٨١والحموية ص ٢٩والمعارج ١/ ١٣٩].

وما أورده عن الإمام أبي حنيفة (ت١٥٠) في حق من قال: (لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض)، أو أنكر أنه تعالى في السماء، فقال: «قد كفر» [العلو ص ١٠١ومختصره ص١٣٦، ١٣٧والعلو لابن قدامة ١٠١ والحموية ٢٨ واجتماع الجيوش ٤٦ والمعارج ١/ ١٣٣]..

وعن تلميذه قاضي القضاة الإمام أبي يوسف (ت ١٨٢) من قوله لرجل به شيخوخة ومعه (عليٌّ الأحول)- وقد أنكرا فوقيته تعالى وقالا بما قال به بشر المريسي من أن الله في كل مكان -: «(لولا أن فيك موضع أدب لأوجعتك)، فأمر به إلى الحبس، وضُرب الأحول وطوِّف به» [العلو ص ١١٢ومختصر ص ١٥٥]..

وعن أعلم أهل زمانه الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨) قال: «إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى، وأن يكون على العرش، أرى أن يُستتابوا، فإن تابوا وإلا ضُربت أعناقهم» [العلو ص ١١٨ومختصره ص ١٦٩ واجتماع الجيوش ص ٨٤، ٨٥ والمعارج ١٣٨/١].

وما أورده عن إمام أهل البصرة حماد بن سلمة - وكان رأسًا في العلم (ت١٦٧)- في حديث النزول: «من رأيتموه ينكر هذا، فاتهموه» [الحجة في بيان المحجة للأصبهاني١/ ٤٤٠ والعلو ص ١٠٥ومختصره ص ١٤٤]..

وعن إمام البصرة في زمنه، وهب بن جرير (ت٢٠٦) قال: «إياكم ورأي جهم، فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء وما هو - يريد نفيهم علوه تعالى على عرشه - إلا من وحي إبليس، ما هو إلا الكفر» [العلو ص ١١٨ومختصره ص واجتماع الجيوش ص ٤٥ ١٧٠والمعارج ١٣٨/١].

وعن شيخ بغداد أبي جعفر محمد بن مصعب العابد (ت ٢٢٨) الذي سُمع يقول في مناجاته ربه: «من زعم أنك لا تتكلم ولا تُرى في الآخرة، فهو كافر بوجهك، أشهد أنك فوق العرش، فوق سبع سماوات ليس كما يقول أعداء الله الزنادقة» [العلو ص١٢٥ومختصره ص١٨٣ والمعارج ١/ ١٣٩].

وكذا ما أورده الذهبي عن الحافظ نعيم

بن حماد الخزاعي (ت ٢٢٨) في قوله: «من أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر» [العلو ص ١٢٦ومختصره ص ١٨٤]..

وما ذكره عن حرب الكرماني (ت ٢٨٨) الذي كتب يقول: «إن الجهمية أعداء الله وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، ولا يُرَى في الآخرة.. وليس على عرش ولا كرسي، وهم كفار فاحذرهم» [العلو ص ١٤٣ومختصره ص٢١٣ والمعارج ١/١٤٤].

وما ذكره عن عبد الرحمن بن محمد بن حبيب عن أبيه عن جده، قال: «شهدت خالد بن عبد الرحمن القسري - وخطبهم بواسط - فقال: (يا أيها الناس، ضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بنِ درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبْراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد علوًا كبيرًا)، ثم نزل فذبحه»[العلو ص ١٠٠ومختصره ص ١٣٣، ١٣٤والمعارج ١/١٣٣]..

وما ذكره عن إمام الأئمة ابن خزيمة (ت ٣١١) من قوله: «من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سماواته، بائنٍ من خلقه، فهو كافر يُستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، وأُلقِي في بعض المزابل؛ لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة» [العلو ص ١٥٢ومختصره ص٢٢٦ والعلو لابن قدامة ص ١١٢والحموية ص ٣١ واجتماع الجيوش ص٧٤، ٩٧ والمعارج ١/١٤٦]..

وما أورده عن أبي العباس السراج (ت ٣١٣) من القول: بـ «أن من لم يقر ويؤمن بأن الله تعالى يَعجَب ويضحك، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: (من يسألني فأعطيه)، فهو زنديق كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين» [العلو ص ١٥٦ومختصره ص٢٣٢].

وفي الحجة للأصبهاني عن أبي معمر الهزلي (ت ٢٣٦): «من زعم أن الله تعالى لا يتكلم ولا يبصر، ولا يسمع ولا يعجب، ولا يضحك ولا يغضب - وذكر أحاديث الصفات - فهو كافر بالله، ومن رأيتموه على بئر واقفًا، فألقوه فيها» [الحجة ١/ ٤٤].

إن هذه العبارات وتلك التصرفات من الأئمة الأعلام تكشف لنا - من دون شك - عن معركة كانت حامية الوطيس بين أهل السنة وبين الخارجين على أقوالهم من المفوضة والجهمية والمعتزلة والمتاثرين بهم من متأخري الأشاعرة.

ومعلوم أن أولئك الخارجين لم ينكروا ولم يجحدوا صدور نصوص الصفات عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما أنكروا ما تضمنته من إثبات، وتعمقوا فيما لا يسوغ التعمق فيه من السلوب، فرد عليهم علماء السنة ما بين لاعن ومبدِّع ومفسِّق، ولقد بلغت العصبية بهؤلاء الخارجين مع كل هذا حدًا جعلهم يتهمون أهل السنة بأنهم مشبهة وحشوية ومجسمة.

علامة أهل البدع:

ويذكر الإمام أبو حاتم الرازي في هذا الصدد ما به ينكشف أمر هؤلاء المبتدعة، فيقول: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الجهمية أن يسموا أهل السنة مشبهة، وعلامة القدرية (المعتزلة) أن يسموا أهل السنة مجبرة، وعلامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية» [العلو ص ١٣٩ومختصره ص٧٤، ٢٠٧]..

بل الذي كان بين أهل الحديث والجهمية من الحرب - على حد قول ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية وكما يظهر حتى من عنوان كتابه - «أعظم مما بين عسكر الكفر وعسكر الإسلام» [مختصر العلو ص ٥٦ واجتماع الجيوش ص ٩٦].

فهل يعي متأخرو الأشاعرة - وهم في زماننا كثر ودُعاة في مؤسسات وجماعات وجمعيات مرموقة ومحسوبة على الإسلام - تلك الحقائق، فيتحسسوا أخطاءهم ويرجعوا إلى ما كان عليه إمامهم أبو الحسن الأشعري، ومن قبلُ ومن بعدُ صحابة النبي الكرام وسائر أئمة أهل السنة والجماعة ممن تابعهم وتابع من تابعهم من أهل القرون الفاضلة وما تلاها بإحسان؟؟..

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

نصيحة حول الأحداث الجارية على الساحة المصرية



إعداد/ المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أما بعد، فإن الساحة المصرية الآن تموج بفتن كقطع الليل المظلم، من أخرج يده لم يكد يراها، وأصبح الناس حيارى لا يميزون بين الغث والسمين لكثرة الغبش، وهو ما أخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى أَبو مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا.. » (رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني).

ولنا مع تلك الأحداث الوقفات الآتية:

(أ) رؤية تاريخية للمخططات الغربية:

١- محاولات الغرب الهيمنة والسيطرة على العالم الإسلامي:

منذ أن منَّ الله على البشرية بالإسلام، وأرسل خاتم رسله هاديً ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ظهرت المكائد التي تكيد للإسلام وأهله، بدءًا من ابن سلول ومرورًا بابن سبأ وابن العلقمي، وأحفادهم، فقد تمالئوا على إسقاط الأندلس حتى تكون أوروبا خالصة للنصارى، فلا يجتمع دينان فيها، ثم تمالئوا على إسقاط الخلافة الإسلامية التي أمر الله بها في كتابه « إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ »[الأنبياء: ٩٢]، وقطعوا أوصالها إلى دويلات، بحدود مصطنعة، وأغروا بين أهلها العداوة والبغضاء، وأشعلوا نار العصبية بينهم، ثم انتهكوا حرماتها، وسلبوا خيراتها، وأرادوا طمس هويتها باستعمارها، ولما باءت محاولاتهم بالفشل لجئوا

إلى وكلائهم من بني جلدتنا، لينفّذوا مخططاتهم، وينشروا أفكارهم بين أهلهم وعشيرتهم، كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق فيما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

« كان الناسُ يسألونَ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن الخير، وكنتُ أسألُهُ عن الشرِّ مخافةَ أن يُدركني، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّا كُنَّا في الجاهليةِ وشرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ، فهل بعد هذا الخيرِ من شرٍّ؟ قال: (نعم). قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: (نعم، وفيه دَخَنٌ). قلتُ وما دَخَنُهُ؟ قالَ: (قومٌ يهدونَ بغيرِ هديي، تعرفُ منهم وتُنكر). قلتُ: فهل بعد ذلك الخيرِ من شرٍّ؟ قال: (نعم، دعاةٌ إلى أبوابِ جهنَّمَ، من أجابهم إليها قذفوهُ فيها). قلتُ: يا رسولَ الله، صفْهُمْ لنا؟ فقال: (هم من جلدتنا، ويتكلَّمونَ بألسنتنا). قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تَلْزَمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامهم، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: (فاعتزلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ، حتى يُدركَكَ الموتُ وأنت على ذلك) (رواه البخاري).

فرأينا من ينزع حجاب المرأة ويعريها بدعوى تحريرها، ورأينا من ينقل قوانين الكفر من أوروبا ليحلها محل شريعة الرحمن في بلاد الإسلام معاديًا لقوله تعالى: « أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » [المائدة:٥٠]، ثم رأينا الآن من يصرخ محذرًا من منع الخمور والانحلال بدعوى أن ذلك سيؤدي إلى فرار السياح من البلاد!!

٢- دور الجماعات الإسلامية في مواجهة حركات التغريب:

ووسط هذه العتمة، أراد الله للأمة أمرًا رشدًا، فأخرج الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء، من يجدّد لها أمر دينها، ويزيل الركام عما طمس من سنة نبيها، ونشأ الفتيان والفتيات، في المساجد، ينهلون من كتاب ربهم، وسنة نبيهم، ويدعون إلى الله على بصيرة، ويطالبون بعودة الأمة إلى كتاب ربها وإلى سنة نبيها، فما كان من وكلاء الغرب في ديار الإسلام، إلا أن هبّوا للحفاظ على عروشهم، بتغييبهم في غيابات السجون والمعتقلات، وقطع الأرزاق عن عائلاتهم، وتشريدهم، وإجبار البعض منهم على الفرار بدينه في أرض الله الواسعة، لا لجرم ارتكبوه، ولا لذنب اقترفوه «وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» [البروج: ٨]!!

وإزاء هذا العنت تفرقت تلك الجماعات إلى مشارب شتى، فانشغل بعضهم بالعمل السياسي محاولاً التغيير، وانشغل آخرون بالدعوة كوسيلة للتغيير، وتنكّب بعضهم الطريق فانتهج العنف وسيلة للتغيير، وسارت الأمور من سيئ لأسوأ، فقامت ما عرف بثورات الربيع العربي، فأزاحت الحكام عن عروشهم .

(ب) دور الإعلام والنخبة
في مواجهة الأحزاب الإسلامية:

الناظر إلى الأحداث السابق ذكرها منذ قيام الثورة يتضح له بجلاء لا لبس فيه ولا غموض، أن هناك تخطيطًا منظمًا لإسقاط أول رئيس منتخب، وإفشال المشروع الإسلامي، حتى لا تقوم للإسلاميين قائمة، ويكمن ذلك في الآتي:

١- اتحاد جميع التيارات والأحزاب المتناقضة فكريًا لإسقاط أول رئيس منتخب:

فالتيارات اليسارية لا يمكن أن تتفق فكريًا مع التيارات اليمينية، فكيف بمن ارتضى الاشتراكية نظامًا أن يرضى بالرأسمالية؟ وكيف يجتمع العلماني والليبرالي واليساري مع رجال النظام السابق، والذين ما قامت الثورة إلا لخلعهم؟! ولكن الكل اجتمع على هدف واحد هو إسقاط الرئيس المنتخب، والإخوان، وهذا ما صرح به أحد زعمائهم في مؤتمر صحفي تناقلته وسائل الإعلام، حينما سئل «هل انتهت أزمتكم مع الرئيس بعد إلغاء الإعلان الدستوري؟» فأجاب: لا نحن نريد إسقاط الرئيس والإخوان من الحكم. ومع ذلك فهذا لا ينفى

وجود بعض الوطنيين في هذا التجمع، يريد الخير وأخطأ الطريق.

٢- سياسة الإعلام في محاربة التيارات الإسلامية:

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «سمع عبدُ الله بنُ سَلام بقُدوم رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم وهو في أرض يَحتَرِفُ، فأتى النبيَّ صلّى اللهُ عليه وسلّم فقال: إني سائلُك عن ثلاثٍ لا يَعلمُهنَّ إلا نبيٌّ: فما أولُ شرطِ الساعة، وما أولُ طعام أهلِ الجنة، وما يَنزِعُ الولدَ إلى أبيه أو إلى أمِّه؟ قال: (أخبَرني جبريلُ آنفًا). قال: جبريلُ؟ قال: (نعمْ). قال: ذاك عدوُّ اليهودِ منَ الملائكة، فقرَأ هذه الآيةَ: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ». أما أولُ أشراطِ الساعة فنارٌ تَحشُرُ الناسَ منَ المشرقِ إلى المغربِ، وأما أولُ طعامِ أهلِ الجنة فزيادةُ كبدِ حوتٍ، وإذا سبَق ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ نزَع الولدَ، وإذا سبَق ماءُ المرأةِ نزَعَتْ). قال: أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهَدُ أنك رسولُ الله، يا رسولَ الله، إنَّ اليهودَ قومٌ بُهتٌ، وإنهم إن يعلَموا بإسلامي قبلَ أن تَسأَلَهم يَبهَتوني، فجاءَتِ اليهودُ، فقال النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم: (أيُّ رجلٍ عبدُ الله فيكم؟). قالوا: خيرُنا وابنُ خيرِنا، وسيدُنا وابنُ سيدِنا. قال: (أرأيتُم إن أسلَم عبدُ الله بنُ سَلام). فقالوا: أعاذه اللهُ من ذلك، فخرَج عبدُ الله فقال: أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ الله. فقالوا: شرُّنا وابنُ شرِّنا، وانتَقَصوه، قال: فهذا الذي كنتُ أخافُ يا رسولَ الله».

فما فعلته اليهود مع عبد الله بن سلام، هو سياسة وسائل الإعلام مع التيارات الإسلامية، ومع المتعاطفين معهم، فإن جاءوا بما يتفق معهم ومع آرائهم كان المدح، وإن جاءوا بما يخالفهم كان الذم والتنقص.

السبيل إلى احتواء الأزمة الراهنة:

١- الحوار الجاد والفعّال للخروج من الأزمة:

فإذا كان الحوار مطلوبًا مع أهل الكتاب قال تعالى: «يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ» [آل عمران: ٦٤] أفلا يكون مطلوبًا مع المخالفين من المسلمين؟! ولكن حذار من التنازل عن ثوابت الأمة، فالشريعة الإسلامية ليست محلاً للتفاوض بشأنها.

٢- الحزم في مواجهة كافة أشكال الخروج على الشرعية باستخدام العنف:

فلا بد من تطبيق القانون على المتورطين في إدخال البلاد في أتون العنف والفوضى، أيًّا كانت مواقعهم.

٣- احتواء الشباب ومناقشتهم في الشبهات العالقة بأذهانهم، كما فعل عبد الله بن عباس مع الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه فرجع الكثير منهم إلى منهج الاعتدال .

٤- تذكير المصريين بحرمة الدماء والأموال والأعراض، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر، فقال: «يا أيها الناس، أي يوم هذا؟»، قالوا: يوم حرام. قال: «فأيّ بلدٍ هذا؟»، قالوا: بلد حرام. قال: «فأي شهرٍ هذا؟». قالوا: شهر حرام. قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا». فأعادها مرارًا، ثم رفع رأسه، فقال: «اللهم هل بلَّغْتُ؟ اللهم هل بلَّغْتُ؟» قال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته، فليبلغ الشاهد الغائب: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض». [رواه البخاري].

وأخيرًا، أسأل الله في عليائه أن يرفع البلاء وأن يحفظ مصر وأهلها من كل سوء.. آمين.

القصة في كتاب الله



قصة سبأ

تعقيبات ودروس مستفادة

الحلقة الثالثة

إعداد/ عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله الذي له ما في السماوات والأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، والصلاة والسلام على البشير النذير وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد:

فهذا - أخي الكريم - لقاؤنا الثالث والأخير مع قصة سبأ نقف فيه مع تعقيبات القرآن الكريم على القصة، ونستخلص الفوائد والدروس والعبر التي هي غاية القصص القرآني العظيم.

وإلى تفاصيل ما قصدناه، والله الموفق.

أولاً: تعقيبات القرآن:

١- جاء تعقيب مباشر بعد القصة مباشرة كأنه تذييل لها ألا وهو قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [لقمان: ٣١]، وقد جاء التعبير القرآني بجمع (آية) للدلالة على كثرتها، وسنذكر منها ما تيسر إن شاء الله بعد قليل.

٢- أما التعقيب الثاني فهو غير مباشر وهو في قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) [سبأ: ٢٠]. قال الشيخ العلامة الطاهر ابن عاشور - رحمه الله -: «الأظهر أن هذا عطف على قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ) [سبأ: ٧] الآية في أول السورة، وأن ما بينهما من الأخبار المسوقة للاعتبار كما تقدم واقع وقع الاعتراض والاستطراد فيكون ضمير «عليهم» عائد إلى «الذين كفروا» ا هـ.

يقصد الشيخ أن قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) [سبأ: ٢٠] يعود على المشركين في مكة، الذين أنكروا البعث واستهزؤوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن هذا المذهب الذي ذهب إليه الشيخ له وجاهته على الرغم من كثرة القائلين بعودته على قوم سبأ، ويستدل الشيخ على صحة ما ذهب إليه بالآية رقم (٢٢) من ذات السورة بعد الآيات السابقة مباشرة والتي هي قوله تعالى: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ) [سبأ: ٢٢] وفيها عود إلى محاجة المشركين، وكأن قصة داود وسليمان وسبأ جاءتا كجمل اعتراضية في السياق لضرب الأمثال، وعلى كلٍّ فالآية تصلح للموضعين يعني إعادتها على مشركي مكة لا يمنع كونها تنطبق على قوم سبأ؛ لأنهم أيضًا من الذين صدَّق عليهم إبليس ظنه.

وهذا من جمال وروعة أسلوب القرآن الكريم، وإعجازه.

ومعنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) [سبأ: ٢٠] أي: اعتقاده بضعف بني آدم وقدرته على إغوائهم بما أعطاه الله من سلطان على ذلك، وهذا الذي صرَّح به إبليس في قوله لله رب العالمين: (أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: ٦٢]، وقوله: (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [الأعراف: ١٦- ١٧].

وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم بيانًا لحكمة الله

في تسليط الشيطان على بني الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١]، ومعنى قوله تعالى: «لنعلم» أي: ليظهر ويتميز في الواقع المشاهد، وعليه فتكون الحكمة من السلطان الممنوع للشيطان على الإنسان ليظهر أمر المؤمن سلوكًا واعتقادًا، وكذلك يظهر أمر الكافر سلوكًا واعتقادًا، و﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥]، مع ملاحظة أن هذا التسليط لا يؤثر إلا على من تولى الشيطان وعبده من دون الرحمن، أما من أخلصوا توحيدهم لله وصدقوا في إيمانهم به فهم أولياء الرحمن ولا سبيل للشيطان عليهم ولا سلطان: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

ثانيًا: دروس مستفادة:

١- وجوب شكر النعم:

قال الله عز وجل لقوم سبأ: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[سبأ: ١٥]، فأمرهم بشكره سبحانه على ما أنعم به عليهم من نعم كثيرة في المأكل والمشرب والبيئة الصالحة، فتبين من ذلك وجوب شكر نعم الله؛ لأن الشكر يحفظ النعمة، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

٢- كيف نشكر نعمة الله:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء» عند حديثه عن عقوبات المعاصي والذنوب قال: «من عقوباتها: أنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل وتمنع الواصل، فإن نعم الله ما حُفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استجلب مقصودها بمثل طاعته، فإن ما عنده لا يُنال إلا بطاعته».

وقال علي رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفع إلا بتوبة». وشكر النعم يكون بالقلب واللسان والجوارح.

٣- الله سبحانه هو المتفرِّد بالعطاء والمنع:

المتأمل في قصة سبأ يجد أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنعم على سبأ بما أنعم، وهو الذي سلب منهم ما وهب لما كفروا عطاءه ومننه وفق سنن ثابتة لا تتغير كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، فيا ليت العباد يحسنون التعامل مع سنن الله الكونية والشرعية!!

٤- نعمة الأمن من أساس العمران:

وتحقيقه واجب الأمراء والعلماء، واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٤]، وقال لقوم سبأ: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

فلا شك أن أهمية نعمة الأمن لا تقل شأنًا عن نعمة الرخاء والرزق، بل هي أصلها، قال العلامة ابن عاشور رحمه الله بعد أن قرر أن نعمة الأمن أساس العمران، قال: «من أجل ذلك كله كان حقًا على ولاة أمور المسلمين أن يسعوا جهدهم في تأمين البلاد، وحراسة السبل، وتيسير الأسفار، وتقرير الأمن في سائر نواحي البلاد جليلها وصغيرها بمختلف الوسائل، وكان ذلك من أهم ما تنفق فيه الجهود والأموال». ثم يقول: «وكان حقًا على أهل العلم والدين أن يرشدوا أئمة المسلمين وعامتهم إلى طريق الخير وأن ينبهوا إلى معالم ذلك الطريق ومسالكه بالتفصيل دون الإجمال، فقد افتقرت الأمة إلى العمل وسئمت الأقوال». [انظر التحرير والتنوير].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «من أصبح منكم». وفي رواية: «من بات منكم آمنًا في سربه، معافًى في بدنه، أو في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا». رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي وحسنه الألباني (٢٣١٨).

٥- من أعظم أسباب الأمن التوحيد:

ولذلك عندما دعا إبراهيم ربَّه بالأمن لمكة قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فربط بين الأمن وتجنيب عبادة الأصنام، وقالها إبراهيم عليه السلام صريحة في موضع آخر حين قال مقيمًا الحجة على قومه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ولما خاف الصحابة فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس كما تظنون، إنما هو كما قال العبد الصالح لقمان لولده: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٦- جنود الله لا يعلمها إلا الله:

لما أعرض قوم سبأ سلط الله عليهم سيل العرم، فأهلك الحرث والنسل، وحوّل العمران خرابًا، وسواء كان السبب في السيل هو «فأرة» أم لا، فما أضعف الطغاة أمام جند الله!!

وهكذا فعل الله مع أعدائه، وفعله مع أوليائه بالنصر والولاية والحفظ والهداية.

اللهم اجعلنا من أولئك المتقين.



الخليفة الراشد:

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد فإن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب أحد العشرة الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهو أحد أصحاب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلاً: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات:٧)، من أجل ذلك أحببت أن أذكر إخواني الكرام بشيء موجز من سيرته المباركة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

الاسم والنسب:

هو: عليٌ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قصي. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ صـ١٣).

كُنيةُ علي بن أبي طالب:

أبو الحسن، وأبو تراب. (البخاري حديث ٣٧٠٣، ومسلم حديث ٢٤٠٩).

ميلاد علي بن أبي طالب:

وُلِدَ عليٌ بن أبي طالب قبل بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشر سنوات، وتربى في حجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يفارقه. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣صـ١٥٣)

والدة علي بن أبي طالب:

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وهي أول هاشمية وَلدت هاشميًا. (صفة الصفوة لابن الجوزي جـ١ صـ٣٠٨).

زوجات علي وأولاده:

تزوج علي بن أبي طالب تسع نسوة، وكان له عَدَدٌ مِن مِلك اليمين، رزقه الله منهن أربعة عشر ذكرًا، وتسع عشرة أنثى. (الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٤).

إسلام علي بن أبي طالب:

عليٌ بن أبي طالب هو أول من أسلم من الغلمان، وكان عمره في ذلك الوقت عشر سنوات. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ صـ١٥).

هجرة علي بن أبي طالب:

عندما أذن الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالهجرة، جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما جاء الليل، وجد النبي صلى الله عليه وسلم المشركين قد اجتمعوا على بابه، يرصدونه متى ينام فيقتلوه، قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي، وتَسج ببردي الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليًا أن يُؤجل هجرته ثلاثة أيام لكي يُؤَدي الأمانات التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابها ثم يلحق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة ثم خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من باب منزله أمام المشركين وهم لا يرونه؛ لأن الله تعالى قد أعمى أبصارهم عنه. (السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ صـ٨٩).

مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب:

لما جاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم ببعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة والميراث،

وكان ذلك قبل معركة بدر، وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين علي بن أبي طالب وقال له: أنت أخي، ترثني وأرثك، فلما نزلت آية الميراث توقف الميراث بالمؤاخاة. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ صـ١٦).

زواج علي بفاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وسلم:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا تَزَوَّجَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعْطِهَا شَيْئًا. قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ. قَالَ: أَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ؟ (صحيح أبي داود للألباني حديث ١٨٦٥).

فضائل علي بن أبي طالب:

جاءت أحاديث كثيرة في فضائل علي بن أبي طالب، سوف نذكر بعضًا منها:

عن سعد بن أبي وقاص أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي. (البخاري حديث ٤٤١٦، ومسلم حديث ٢٤٠٤).

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَوْمَ خَيْبَرَ لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ؛ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ؟ فقالوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ. (مسلم حديث ٢٤٠٦).

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم لِإِنْسَانٍ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ قُمْ أَبَا تُرَابٍ قُمْ أَبَا تُرَابٍ.(البخاري حديث ٤٤١، ومسلم حديث ٢٤٠٩).

وعَنْ عَلِيِّ بن أبي طالب قَالَ: لَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغَضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٣٨).

وعن زيد بن أرقم أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٣٠).

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٤٦).

جهاد علي بن أبي طالب:

شهد علي بن أبي طالب بدرًا، وأُحدًا، والخندق، وبيعة الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا غزوة تبوك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على أهله بالمدينة. (أُسدُ الغابة لابن الأثير جـ٣ صـ٥٨٧).

علمُ علي بن أبي طالب:

روى عليُّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، خمسمائة وستة وثمانين حديثًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) قالت عائشة: علي بن أبي طالب أعلم الناس بالسنة.(تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ١٥٧).

(٢) قال عبد الله بن مسعود: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب.(الاستيعاب لابن عبد البر جـ٣ صـ٢٠٥: صـ٢٠٧).

(٣) قال سعد بن المسيب: كان عمر بن الخطاب يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن. (الاستيعاب لابن عبد البر جـ٣ صـ٢٠٥: صـ٢٠٧).

(٤) قال سعيد بن جبير: قال عبد الله بن عباس: إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ بن أبي طالب لم نعدل عنه إلى غيره. (الاستيعاب لابن عبد البر جـ٣ صـ٢٠٥: صـ٢٠٧).

خلافة علي بن أبي طالب:

لما قتلَ المتمردون عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة، جاء الناس من الصحابة وغيرهم، كلهم يقول: أمير المؤمنين علي

بن أبي طالب، حتى دخلوا عليه داره، فقالوا: نبايعك، فمد يدك. فأنت أحق بالخلافة، فقال علي: ليس ذلك إليكم، وإنما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة، فلم يبقَ أحد إلا أتي عليًا، فقالوا: ما نرى أحدًا أحق بها منك، فمد يدك نبايعك. فقال: أين طلحة والزبير؟ فكان أول من بايعه طلحة بلسانه، فلما رأى علي ذلك خرج إلى المسجد، فصعد المنبر، فكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة، وتابعه الزبير بن العوام، وباقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أجمعين. (أسد الغابة لابن الأثير جـ٣ صـ٦٠٩).

زهد علي بن أبي طالب:

(١) قال عامر بن النبَّاح، مؤذن علي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين: امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء (من الذهب والفضة) فقال علي: الله أكبر، ثم قام متوكئًا على ابن النبَّاح حتى قام على بيت المال، فقال: يا ابن النباح: عليّ بأشياخ الكوفة، فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال، وهو يقول: يا صفراء، يا بيضاء غُري غيري، حتى ما بقي في بيت المال دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه بالماء، وصلى فيه ركعتين.(صفة الصفوة لابن الجوزي جـ١ صـ٣١٤: ٣١٥).

(٢) قال عمرو الهمداني: رأيت علي بن أبي طالب: وهو يبيع سيفًا له في السوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف، فو الذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو كان عندي ثمن إزار ثوب ما بعته. (صفة الصفوة لابن الجوزي جـ١ صـ٣١٨).

(٣) قال معاوية بن أبي سفيان: لضرار الصدائي: يا ضرار، صف لي عليًا. قال: اعفني يا أمير المؤمنين. قال: لَتَصِفَنَّه. قال: أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه. ويستوحش من الدنيا زهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العَبرة. طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن. وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله، مع تقريبه إيانا وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، ويقرِّبُ المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أني قد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضًا لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، ألي تعرضت أم إليَّ تشوقت! هيهات هيهات! قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل. آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها. وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعِلم بموت ابن أبي طالب. فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام. فقال له: دعني عنك. (الاستيعاب لابن عبد البر جـ٣ صـ٢٠٩).

أسباب الفتنة في خلافة علي بن أبي طالب:

اعلم، أخي الكريم، أنَّ الفتنة قد حدثت عندما طلب معاوية ومن معه من علي بن أبي طالب تسليم قتلة عثمان بن عفان، إليهم، وذلك لكون معاوية ابن عمه، فامتنع عليّ ظنًا منه أن تسليم قتلة عثمان بن عفان إليهم على الفور، مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر عليّ، يؤدي إلى اضطراب في أمر الخلافة التي بها انتظام كلمة أهل الإسلام خاصة وهي في بدايتها، فرأى علي بن أبي طالب تأخير تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه أصوب إليّ أن يرسخ قدمه في الخلافة، ويتحقق التمكن من الأمور فيها، ويتم اتفاق كلمة المسلمين، ثم بعد ذلك يلتقطهم واحدًا فواحدًا ويسلمهم إليهم، ويدل على ذلك أن بعض قتلة عثمان رضي الله عنه عزم على الخروج على علي بن أبي طالب ومقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان رضي الله عنه. (الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي صـ٣٢٥).

اعلم، أخي الكريم أن أكثر الصحابة قد اعتزلوا القتال واتبعوا النصوص الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قتال الفتنة.

قال ابن كثير: روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن عُلية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين. (البداية والنهاية لابن كثير جـ٧ صـ٢٦٤).

ومن عقيدتنا: أن نستغفر للقتلى من كلا الفريقين ونترحم عليهم ونحفظ فضائلهم ونعترف له بسبقهم وننشر مناقبهم عملاً بقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر ١٠).

وجوب التوقف عما شجر بين علي وبين معاوية وطلحة والزبير:

يجب على كل مسلم السكوت وعدم الخوض في الفتن التي جرت بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان، وبين علي وطلحة بين عبيد الله والزبير بن العوام في موقعة الجمل، ولنعلم جميعًا أن موقعة الجمل قد تمت عن غير اختيار من هؤلاء الثلاثة، وأن عائشة ما ذهبت إلي العراق إلا من أجل الإصلاح بين الناس، ولنعلم أيضًا أنهم جميعًا بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٤٦/ ٣٠٤١). (البداية والنهاية جـ٧ صـ٢٤٥: ٢٥١)

قتال علي بن أبي طالب للخوارج:

لقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بظهور فرقة الخوارج وحث على قتالهم، وقد ظهرت هذه الفرقة في خلافة علي بن أبي طالب بعد موقعة صفين وقبوله بالتحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، وقد قاتلهم عليّ وأصحابه ووجد في القتلى ذا الثدية وهو الرجل الذي ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصافة بأنه يكون في جيش الخوارج. (البداية والنهاية لابن كثير جـ٧ صـ٢٩٩- ٣٠٠).

عن عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.(البخاري حديث ٣٦١١، ومسلم حديث ١٠٦٦).

مقتل عليّ بن أبي طالب:

اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكير التميمي، وتعاهدوا على قتل علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا لكم بعليّ بن أبي طالب، وقال البرك: وأنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا وتواثقوا لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمى ويتوجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه وفي ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، توجه كل رجل منهم إلى المكان الذي فيه صاحبه، فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يومًا نفرًا من تيم الرباب فرأى امرأة منهم يُقال لها قطام بنت شجنة بن عدي بن عامر بن عوف، وكان عليّ قتل أباها وأخاها يوم نهروان فأعجبته فخطبها، فقالت له: لا أتزوجك حتى تسمي لي، فقال: لا تسألينني شيئًا إلا أعطيتك، فقالت: ثلاثة آلاف وقتل علي بن أبي طالب، فقال: والله ما جاء بي إلي هذا المكان إلا قتل علي بن أبي طالب وقد آتيتك ما سألت. ولقي عبد الرحمن بن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه إلى ذلك. فلما خرج علي من الباب نادى: أيها الناس الصلاة الصلاة، كذلك كان يفعل في كل يوم يخرج ومعه درته، يوقظ الناس، فاعترضه الرجلان.

فقال بعض من حضر ذلك: فرأيت بريق السيف وسمعت قائلاً يقول: لله الحكم يا علي لا لك! ثم رأيت سيفًا ثانيًا فضربا جميعًا فأما سيف عبد الرحمن بن ملجم فأصاب جبهته إلي قرنه ووصل دماغه، وأما سيف شبيب فوقع في الطاق، وسمعت عليًا يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليهما من كل جانب، فأما شبيب فأفلت، وأُخذ عبد الرحمن بن ملجم فأدخل على عليّ، فقال: أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فإن أعش فأنا أولى بدمه عفوًا وقصاصًا وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين.

ومكث عليّ يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي، رحمه الله، ليلة الأحد، التاسع عشر من شهر رمضان سنه أربعين، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلى عليه الحسن بن عليّ، ثم انصرف الحسن بن عليّ من دفنه فدعا الناس إلي بيعته فبايعوه. وكانت خلافة علي بن أبي طالب أربع سنين وتسعه أشهر. تُوفي علي وهو يومئذ ابنُ ثلاثة وستين سنة. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٣ صـ٢٥: ٢٧).

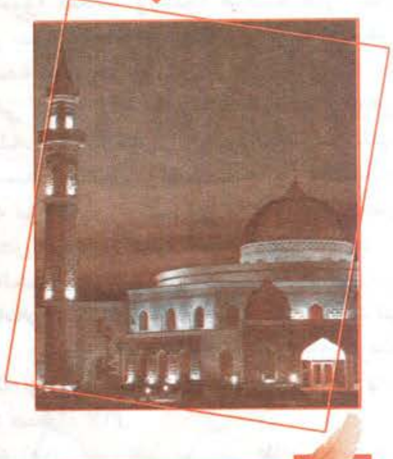
رضي الله تعالى عن عليّ بن أبي طالب، وجمعنا معه في الفردوس الأعلى من الجنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الأمثال في القرآن الكريم

الحلقة الثانية



إعداد/ مصطفي البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي المقال السابق تحدثنا عن مقدمة في «الأمثال في القرآن»، وفي هذا المقال نبدأ الحديث عن المثل الأول في القرآن، وهو من سورة البقرة الآية السابعة عشرة، وهي قوله تعالى: « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ » [البقرة: ١٧- ١٨].

تفسير آية المثل:

«مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا» حال المنافقين الذين آمنوا ظاهرًا لا باطنًا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم كفروا فصاروا يتخبطون في ظلمات ضلالهم وهم لا يشعرون ولا أمل لهم في الخروج منها.

قال القاسمي في محاسن التأويل: «ولما جاء بحقيقة صفتهم (أي في الآيات السابقة) عقَّبها بضرب المثل - زيادة في الكشف وتتميمًا للبيان - فقال تعالى: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ» مثلهم: أي: مثالهم في نفاقهم، وحالهم فيه كمثل الذي استوقد أي أوقد نارًا في ظلمة - والتنكير للتعظيم، وقال الراغب: المستوقد: طالب الوقود، ولذلك قال ابن عثيمين: «كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا»، أي طلب من غيره أن يُوقد له نارًا، أو طلب من غيره ما يُوقد به النار بنفسه، « فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ» أي أنارت ما حول المستوقد واستدفأ، وأمن مما يخافه « ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» أي: أطفأ الله نارهم - التي هي مدار نورهم - فبقوا في ظلمة وخوف، و«لما» حرف شرط، و«أضاءت» فعل الشرط، و«ذهب الله» جواب الشرط، والمعنى: أنه بمجرد الإضاءة ذهب النور؛ لأن القاعدة أن جواب الشرط يلي المشروط مباشرة.

الضمائر مختلفة والمرجع واحد:

وفي هذه الآية نجد اختلافًا في

الضمائر: «استوقد»: مفرد، «حوله»: مفرد، «بنورهم»: جمع، «تركهم» جمع، «لا يبصرون» جمع.

وقد يقول القائل: كيف يجوز في أفصح الكلام أن تكون الضمائر مختلفة والمرجع فيها واحد؟

الجواب من وجهين:

الأول: أن اسم الموصول يفيد العموم، وإذا كان يفيد العموم فهو صالح للمفرد والجمع، فتكون الضمائر في «استوقد»، و«حوله» عادت إلى اسم الموصول باعتبار اللفظ، وأما «نورهم»، و«تركهم»، و«لا يبصرون» فعادت إلى الموصول باعتبار المعنى.

الوجه الثاني: أن الذي استوقد النار كان مع رفقة، فاستوقد النار له ولرفقته، ولهذا قال تعالى: « أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » إلخ، وعلى الوجه الثاني تكون الآية ممثلة لرؤساء المنافقين مع أتباعهم؛ لأن رأس المنافقين هو الذي استوقد النار، وأراد أن ينفع بها أقرانه، ثم ذهبت الإضاءة وبقيت الحرارة، والظلمة، وتركهم جميعًا في ظلمات لا يبصرون.

«وتركهم في ظلمات» أي: وتركهم في ظلمات لا يبصرون ما حولهم – متحيرين- عن الطريق خائفين-؛ جمعها لتضمنها ظلمات عديدة.

أولها: ظلمة الليل؛ لأن استيقاد النار للإضاءة لا يكون إلا في الليل؛ لأنك إذا استوقدت نارًا بالنهار فإنها لا تضيء.

الثانية: ظلمة الجو إذا كان غائمًا.

الثالثة: الظلمة التي تحدث بعد فقد النور، فإنها تكون أشد من الظلمة الدائمة.

و«لا يبصرون» تأكيد من حيث المعنى لقوله تعالى: « فِي ظُلُمَاتٍ » دال على شدة الظلمة، قال قتادة: «هذا مَثَل في المنافقين»، « فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ » هي لا إله إلا الله، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا، وأمنوا في الدنيا، ونكحوا النساء، وحقنوا دماءهم حتى إذا ماتوا أذهب الله نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

قال ابن القيم: وحصول الظلمات التي هي الضلالة والرضى بها عن النور الذي هو الهدى، فبدّلوا الهدى والنور وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة، فيا لها من تجارة ما أخسرها!! وصفقة ما أشد غبنها!!

وتأمل كيف قال الله سبحانه وتعالى: «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » فوحّده، ثم قال: « وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ » فجمعها؛ فإن الحق واحد وهو صراط الله المستقيم الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لا بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق بخلاف طرق الباطل؛ فإنها متعددة متشعبة.

قوله تعالى: « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» [البقرة: ١٨].

فقوله تعالى في وصفهم: «صمّ» خبر لمبتدأ محذوف – أي: هم صم، و«صم» جمع أصم.

و«الأصم» الذي لا يسمع، لكنه هنا أريد به شيء معين: أي هم صم عن الحق، فلا يسمعون، والمراد نفي السمع المعنوي – وهو السمع النافع، لا الحسي وهو الإدراك؛ لأن كلهم يسمعون القرآن ويفهمون معناه، لكن لما كانوا لا ينتفعون به صاروا كالصم الذين لا يسمعون، وذلك مثل قول الله تعالى: « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ» [الأنفال: ٢١].

قوله تعالى: «بكم» جمع أبكم، وهو الذي لا ينطق، والمراد أنهم لا ينطقون بالحق، وإنما ينطقون بالباطل، و«عمي» جمع أعمى، والمراد أنهم لا ينتفعون بما يشاهدونه من الآيات التي تظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فبهذا سُدّت طرق الحق أمامهم؛ لأن الحق إما مسموع وإما مشهود، وإما معقول؛ فهم لا يسمعون، ولا يشهدون، كذلك أيضًا، فلا يُؤخذ منهم حق؛ لأنهم لا ينطقون بالحق، لأنهم

بكم فهم لا ينتفعون بالحق من غيرهم، ولا ينفعون غيرهم بحق، قال الله تعالى: «فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ»: الفاء هذه عاطفة، لكنها تفيد السببية - أي بسبب هذه الأوصاف الثلاثة لا يرجعون عن غيِّهم، فلا ينتفعون بسماع الحق، ولا بمشاهدته، ولا ينطقون به.

المعنى الإجمالي:

شبَّه سبحانه وتعالى أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا نارًا لتضيء لهم وينتفعوا بها، فلما أضاءت لهم النار، فأبصروا من خلال ضوئها ما ينفعهم ويضرهم، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين، فهم كقوم سفر ضلوا عن الطريق فأوقدوا النار لتضيء لهم الطريق، فلما أضاءت لهم فأبصروا وعرفوا طُفئت تلك الأنوار، وبقوا في الظلمات لا يبصرون، قد سُدت عليهم أبواب الهدى الثلاث، فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب: مما يسمعه بأذنه، ويراه بعينه، ويعقله بقلبه.

وهؤلاء قد سُدت عليهم أبواب الهدى فلا تسمع قلوبهم شيئًا، ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها، وقيل: لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم نُزِّلوا بمنزلة من لا سمع له ولا بصر ولا عقل.

وقال في صفتهم «فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» لأنهم قد رأوا في ضوء النار وأبصروا الهدى، فلما طفئت عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا، وقال سبحانه: «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ»، ولم يقل ذهب نورهم، وفيه سر بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله سبحانه وتعالى.

فإن الله تعالى مع المؤمنين، وإن الله مع الصابرين، وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فذهاب الله بذلك النور انقطاع لمعيته التي خصَّ بها أولياءه، فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبقَ عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم. فليس لهم نصيب من قوله: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، ولا من: «كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ».

الفوائد:

١- من فوائد الآيتين: بلاغة القرآن، حيث يضرب للمعقولات أمثالاً محسوسات؛ لأن الشيء المحسوس أقرب إلى الفهم من الشيء المعقول، لكن من بلاغة القرآن أن الله تعالى يضرب الأمثال المحسوسة للمعاني المعقولة حتى يدركها الإنسان جيدًا، كما قال تعالى: « وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ » [العنكبوت: ٤٣].

٢- من فوائد التشبيه قصد تفظيع المُشبَّه.

٣- ومنها: ثبوت القياس، وأنه دليل يؤخذ به؛ لأن الله أراد منا أن نقيس حالهم على حال من يستوقد، وكلّ مَثَل في القرآن فهو دليل على ثبوت القياس.

٤- ومنها أن هؤلاء المنافقين ليس في قلوبهم نور، لقوله تعالى: «كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا » [البقرة: ١٧] فهؤلاء المنافقون يستطعمون الهدى والعلم والنور، فإذا وصل إلى قلوبهم- بمجرد ما يصل إليها- يتضاءل، ويزول؛ لأن هؤلاء المنافقين إخوان للمؤمنين من حيث النسب، وأعمام وأخوال، وأقارب، فربما يجلس إلى المؤمن حقًا، فيتكلم له بإيمان حقيقي، ويدعوه، فينقدح في قلبه هذا الإيمان، ولكن سرعان ما يزول.

٥- ومن فوائد الآيتين: أن الإيمان نور له تأثير حتى في قلب المنافق؛ لقوله تعالى: « فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ » [البقرة: ١٧]، الإيمان أضاء بعض الشيء في قلوبهم، ولكن لما لم يكن على أسس لم يستقر، ولهذا قال تعالى في سورة المنافقين- وهي أوسع ما تحدث الله به عن المنافقين-: « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ » [المنافقون: ٣].

٦- ومنها: أنه بعد أن ذهب هذا الضياء حلت الظلمة الشديدة، بل الظلمات.

٧- ومنها: أن الله تعالى جازاهم على حسب ما في قلوبهم: « ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » [البقرة: ١٧] كأنه أخذه قهرًا.

والحمد لله رب العالمين.

سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٨ سنة من المجلة.

- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.

.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.

الآن

مفاجأة سارة



موسوعة التوحيد ببلاش

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية.
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد.
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًّى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين.

ومفاجأة أخرى

المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ

موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط



١٤٣٣

23936517